من موسكو بالبريد الجوى

انباء موسكو

جريدة اسبوعية

تصدر منذ ٥ نيسان عام ١٩٦٩

العدد ٥٠ (٥٠٥)

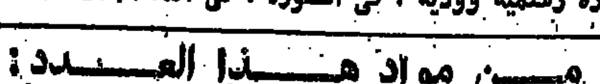
الاحد ١٧ كانون اول (ديسمبر) ١٩٧٨

الديمقراطيــة الحقيقيــة

(ص ٥)



استقبل ليونيد بريجنيف السكرتير العام للجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفيتى ، رئيس هيئة رئاسة السوفيت الاعلى للاتحاد السوفيتى فى الكرملين السيد صدام حسين نائب امين سر القيادة القطرية لحزب البعث العربى الاشتراكى ، نائب رئيس مجلس قيادة الثورة فى الجمهوريـة العراقية والذى يزور الاتحاد السوفيتى زيارة رسمية وودية . فى الصورة : فى اثناء المحادثة .

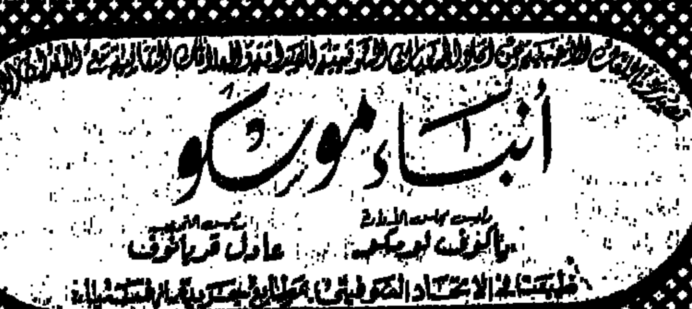


من مواد هــذا العــدد:

انتهت المباريات الدولية التقليدية فى التزحلق الايقاعى على الجليد ، على جائزة صحيفة «نوفيل دى موسكو» . وقد فاز الرياضيون السوفييت فى الانواع من مجموع الانواع الاربعة التى يتضمنها البرنامج . وحازت على الجائـزة الرئيسية ... فيلزبيرغ من جمهورية ... الديمقراطية . و... جوائز اخرى .

وكانت ... كارول لولـغ ... (تراها فى الصورة) . طالعوا التعليق المصور عن المباريات على الصفحات ١٠ و ١١ و ١٢ .

الادارة : موسكو
٢/١٦ شارع غوركى
للهاتف : 72 — 58 — 229
للبرقيات : Moscow "Moscow News"



طبع ٥/١٢/١٩٧٨

АЭРОФЛОТ

ايروفلوت تنقل الركاب الى جميع بلدان العالم

باقلام القراء

تحية صادقة

ايها الاصدقاء الاعزاء بمناسبة الذكرى الحادية والستين لثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى التي غيرت مجرى الحياة الانسانية في هذا العصر ، احيي شعبكم السوفيتي العظيم على ماحققه من انجازات في جميع الميادين ، في ظل ثورتـــه الرائدة ، ثورة العمال والفلاحين ، ودعمتـــم نصيرا للسلام ونضال الشعوب للتي تكافح من اجل تحررها واستقلالهـــا ومنها شعبنا الفلسطيني المناضل .

محمد عبدالرحيم
(فلسطيني)

تمنياتي لكم بانتصارات جديدة

الاصدقاء في جريدة «انباء موسكو» .
اسمحوا لي ان اهنئكم بالذكرى الحادية والستين لثـورة اكتوبر المجيدة ، وان اهنيء من خلالكـم الشعب السوفيتي الصديق بهذه المناسبة الغالية على قلوبنا جميعا ، متمنيـــا لشعبكم المزيد من الانتصارات في مختلف المجالات وتحقيق امل البشريـــة المنشود ، الا وهو بناء المستقبل الوضاء– المجتمع الشيوعي .
وبهذه المناسبة اهنيء اناتولي كاربوف بطل العالـم في الشطرنج بمناسبة فوزه واتمنى له انتصارات مقبلة .

صديقكم محسن عيسى
(طالب عربي في موسكو)

خطوات عملاقة

ستون عامـــا من الزمـــن شيء يسير اذا قيس بمسيرة الانسانية . ولكن كم هي عزيزة هذه العقود الستة عـــلى قلوب الناس . ففي خلال هذه الحقبة اعلنت ثورة اكتوبـــر الاشتراكية العظمى عن ميلاد مجتمع جديد ، لم تعرف الانسانية له مثيلا من قبل ، مجتمع قضى فيه على الاستغلال ، ويحكمه الكادحون .
وبعد ان توطدت وترسخت الاشتراكية في بلد واحـــد غدت بعد الحرب العالمية الثانية نظاما عالميا ، فقد انسلخت عدة بلدان عن النظام الراسمالي وكونت مع الاتحاد السوفيتي المنظومة الاشتراكية العالمية ، التي تلعب اليوم دورا بارزا واساسيا في تدعيم السلم العالمي وتقدم الشعوب . واحرزت سياسة التعايش السلمي نجاحات كبيرة وغدت مؤشرا هاما في حماية سلم وامن الشعوب واكتسبت احترام الساسة الغربيين الذين يفكرون بموضوعية في حل المشاكل الدولية .
لقد ايقظت ثورة اكتوبر العظمى شعوب الشرق ، واصبحت حليفا ثابتا لها في نضالها من اجل التحرر وبنـــاء حياتهـــا الجديدة .

اسماعيل عبدالمجيد
(العراق)



في العدد القادم

* ملحق خاص مكرس لكوبا الاشتراكية .
* النضال ضد القنبلة النيترونية مهمة عاجلة .
* وفد مجلس السلم العالمي في اليمن الديمقراطية .
* «كلافديا فيلور» القسم الرابع .

سؤال وجواب

اسئلة القراء تطرحها يفغينيا كوروفا رئيسة قسم الرسائل ويجيب عنها المعلق ليف بيلكين

* اغزر الانهار
* مـــا هـــو واقـــع الوضع الاقتصـــادي للانســـان السوفيتي ؟
* مـــا هو دور النقابات في الاتحاد السوفيتي ؟
* هل كافـــة البلدان تسعـــى نحو الحرب ؟

كتب قارئ من فرنسا قائلا :
«اخبرونا من فضلكم عن منســـوب المياه بالامتار المكعبة في الثانية في الانهار التالية: الفولغا واوب وايرطيش وينيسي والفارا وامور» .

ننشر ادنـــاه جدولا بالمنسوب السنوي المتوسط لمياه الانهار التي تهمكم .

منسوب المياه لبعض الانهار
بالوف الامتار المكعبة في الثانية

ينيسي	١٧ر٨
لينا	١٧ر٠
اوب	١٢ر٣
امور	١٠ر٨
فولغا	٧ر٧١
ايرطيش	٢ر١٥
الفـــارا	٤ر٥

ويؤسفنا اننا لا نستطيع ان نقدم لكم معطيات اكمل عن الحدين الاعلى والادنى لهذا المنسوب ، اذ انـــه يتوقف على عوامل كثيرة منها ظروف الطقس وكمية الامطار ودرجة حرارة مختلف الفصول وفي مختلف السنين زد ذلك ان منسوب الميـــاه لايزداد دائما من المنبع الى المصب . فمثلا يبلـــغ المنسوب السنوي المتوسط لنهر الفولغـــا في منطقة فولغوغراد ٨٠٦٠ مترا مكعبا في الثانية اما في القسم الاسفل وحتى بحر قزوين فان نهر الفولغا يفقد ٢٪ من منسوبـــه بالتبخر .

كذلك يؤثـــر عمـــل الانســـان في الحدين الاعلى والادنى للمنسوب فمثلا كان الحد الاعلى لمنسوب الفولغا في المنطقة المشار اليها اعلاه ٥٢٠٠٠ متر مكعب في الثانية . اما الان فقد تحول النهر عمليا الى منظومــــة من خزانات المياه وينظم جريان المياه فيه ونتيجـــة لذلك انخفض الحد الاعلى لمنسوب المياه انخفاضا كبيرا وارتفع المنسوب الصيفي والشتوي بشدة .

او لناخذ نهر ايرطيش . فبعد شق قناة ايرطيش قاراغندا صار النهـــر يفقد ٧٥ مترا مكعبا من المياه فـــي الثانية . ونظرا الى ان هذا النهر يرفد نهر أوب فان هذا الاخير يتلقى مـــن هذا المصدر اقل من السابق .

سبق ان اجبنا عن بعض اسئلة القارئ مولاني (الهند) ، ونجيب اليوم عن سؤال اخر ورد في رسالته :

ما هو واقـــع الوضع الاقتصادي للانسان السوفيتي ؟

– سؤال واسع جدا ، ولناخذ احد جوانب المسالة . تنمو مداخيل السكان في بلادنا من عام لاخر . ففي عام ١٩٦٠ بلـــغ المعدل الوسطي للاجور اكثر قليلا من ثمانين روبلا ، وبلغ هذا المعدل ٩٦ر٥ روبل عام ١٩٦٥ ووصل عـــام ١٩٧٠ الى ١٢٢ روبلا وفي عام ١٩٧٥ اصبح ١٤٦ روبلا ويشكل الان ١٥٩ر٣ روبل في الشهر مـــع ان اسعار بضائع الاستهلاك الاساسية لم تتغير .

وتنمـــو كذلك مدخرات المواطنين واذا قورنت المدخرات بالمداخيل فان الاولى تنمو باسرع من الثانية ، فاذا كـــان المعدل السنوي لوتائر نمـــو المداخيل الفعلية يشكل ٤ر٥٪ في فترة ١٩٥١–١٩٧٥ فان المعـــدل السنوي لنمو المدخرات اقترب الان من ١٥٪ وفي الارياف تنمو مدخرات المواطنين اسرع من المدن . لقد ازدادت نسبة نمو الودائـــع لكل نسمـــة فـــي سكان المدن خلال الفترة المذكورة– ربع قرن– ٧ر١٨ مرة اما في الريف فقد ازدادت ١٣٣ مرة .

ان المدخرات غيـــر مقتصرة على اشخاص معينين بل تشمـــل كافـــة العوائل لقد بلغ عدد ودائع العام الماضي ١٢٠ مليون وديعة ، اما عدد السكان فكان ٢٦٠ مليون نسمة (يبلغ الان ٢٦١ر٢ مليون) .

وربمـــا يتبادر الى الذهن السؤال التالي : ما الغرض من الادخار خاصة وان المواطن السوفيتي لايخـــاف من غده ، ولاتهدده البطالـــة ، ولاداعي لادخار النقود لصرفها على تعليـــم الاطفال او المعالجة الطبية (التعليـــم والمعالجة الطبيـــة عندنـــا بالمجان) والعطلـــة مدفوعـــة الاجر ، وبطاقات الاستراحة في المصحات ودور الراحة تمنح بالمجان او بسعر مخفض ؟

ان المواطنين يدخرون النقود لشراء الحاجيات التي يعلو ثمنها راتب شهر واحد ، ومن ضمن هذه الحاجيات تلك التي كانت تعتبر سابقـــا من الكماليات : سيارة ، تلفزيون ملون ، حلي ومجوهرات ، .. وقد ازداد الطلب على عدة بضائع ، فاذا زرت معارض الموبيليا ، ستلاحظ سرعة اقتنـــاء الموبيليا الغالية .

واليكم رقما آخر : تشكل ودائع المواطنين فـــي الوقت الحاضر حوالي ١٢٥ مليار روبل . اما تداول سلع المفرق في تجارة الدولة والتجارة التعاونيـــة والكولخوزية فقد شكل في العام الماضي ٢٣٦ر٣ مليار روبـــل ويفصح هذا الواقع وحده عن الحالة الاقتصاديـــة للانسان السوفيتي التي تغدو اكثر ثباتا .

يسال القارئ كريشنان من الهند : ما هو دور النقابات في بلادكم ؟

– ان النقابات هي اكبر المنظمات جماهيرية في بلادنـــا حيث تضم في صفوفها ١٢١ مليون عضو .
وقد منحت حقوقا واسعة ، بما في ذلك المبـــادرات التشريعيـــة ، وان مهمتهـــا الاساسية حمايـــة مصالح الكادحين . وتقوم بالرقابة الاجتماعية من اجل ان تراعى الادارات تشريعات العمل ومقاييس حمايته . فلا يجـــوز فصل اي عامل بدون موافقة النقابة وتتصرف بالاموال المخصصة للاحتياجات الاجتماعية . وتتشكل النقابات فـــي الاتحاد السوفيتي في مواقع الانتاج وينفرد المجلس المركزي لعمل النقابات السوفيتية وينتخب هذا المجلس في مؤتمر لنقابات البلاد .

ولـــدى القـــارئ الهندي مولانـــي سؤال اخر : كل بلد يعلن عن عدم رغبته بالحرب ، ولكنه يبذل كل ما يستطيع من اجلهـــا . لماذا يحدث هذا ؟

– هل من الصحيح طرح مثل هذا السؤال ؟ فهل ان كافـــة البلدان تسعى نحو الحرب ؟ نحيلك ايهـــا القارئ المحترم الى الوقائع ، ونستشهد ان البلدان الاشتراكية تقرن كلمـــة السلم باعمال ملموسة في هيئة الامم المتحدة والمؤتمرات الدولية ، واثناء لقاءات قادة الدول والاحزاب ، فالكلمة والفعل هنا متطابقان .

ومن جهة اخرى فان كلمة السلم في البلدان الراسمالية تنفذ كثيرا غير ان وراء هذا الستار «السلمي» تجري مواصلة زيادة النفقات الحربية واقامة تكتلات حربية جديدة ، وقواعد عسكرية جديـــدة . ويعمل كل شيء لصالح الاحتكارات المنتجة للاسلحة وتدعم الانظمة الدكتاتورية والانظمة الرجعية اينما وجدت .

قبل مدة اقترحنـــا على القراء ان يعبروا عن ارائهـــم بخصوص الخطر الذي تشكله الاسلحة النيترونية . ووصلتنا العديد من الاجوبة ، [illegible] مجموعة منها ، والطريف ان جميع من كتب شجب فكرة صنع شكل جديد من اسلحة الابادة الجماعية ، [illegible] القراء في التعبير عن ارائهم بخصوص [illegible] لكي يكون النضال العام من اجل السلم [illegible] وستجد اراؤهم طريقها الى [illegible] .



الفارا .. النهر السيبيري الذي ينبع من بحيرة بايكال

نصـــــر في الاراضي البكــــر



بقلم انور عليمجانوف

انه كتاب عن جيلك وعن الاحداث التي جرت على أرضك وهل ثمة شيء اروع من ذلك الكتاب القادر على النفاذ الى اعماق الروح وعلى مس شغاف القلب وبعث السرور والفخار بالزمن وبالناس الذين يعملون حولك من اجل الاجيال المقبلة .

لقد اعترتني هذه الاحاسيس بالذات وانا اقرا الكتاب الجديد لليونيد بريجنيف «الاراضي البكر» والذي يعتبر استمرارا للكتابين اللذين طبقت شهرتهما الافـــــاق وهما «الارض الصغرى» «والانبعاث» . وهذا ليس لان الاحداث التي يصفها في «الاراضي البكر» تجري في كازاخستان ، وليس لاننـــا نعرف جيدا الناس الذين يكتب عنهم ليونيد ايليتش فـــي مذكراته ...

ان هذا الكتاب عن قضايا الحزب وعن اعماله وعن العناية برخاء الشعب وعن اخاء السوفيتيين وتعاقب الاجيال .

وردت في بداية «الاراضي البكر» سطور عـــن ان اعوام ١٩٢٧–١٩٣١ كانت في حياة مزارعينا عصرا كاملا ، وعن انه لم «تنضج» الذلك الحدود وحسب ، بل بدا موقف جديد من العمل والارض . واخذت تجري عملية تربية الانســـان الجديد . لقد كانت تلك نقطة انعطاف في حياة حارث الارض الذي بدأ لاول مرة السير على طريق الزراعة التعاونية من اجل التخلص من الجوع والفقر والتخلف .

لقد ولد جيلنا بعد ما انتهت مرحلة نشر التعاونيات فـي الارياف ، اي في الثلاثينات . غير ان فرحتنا في الطفولة وفرحة ابائنا للنجاحات الاولى التي حققتهـــا الكولخوزات قد قضت عليها الحرب العالمية الثانية التي لقنتنا الدروس الاولى في الحياة .

لقد عرفنا في فترة مبكرة جدا قسوة العصر وتفاني الناس وطيبة الانسان وقيمة كسرة الخبز وتضامن الناس . وحينما نمعن النظر الان ، بعد مرور سنوات وسنوات ، في صفحات كتاب بريجنيف الجديد ، ونجد هنالك سطورا عن حياة اسرة المؤلف في كازاخستان ، تتبادر الى ذهني تلك الايـــام والشهور ، حينما كان يقدر علينا ، نحن ابناء القرية الجبلية الصغيرة ان نتقاسم بالتساوي حفنة القمح الاخيرة ، وآخر رغيف من الخبز مع اقراننا الذين انسحبوا من اوكرانيـــا وبيلوروسيا ومن المناطق الغربية في روسيا .

لقد ادركنا النضوج في فترة مبكرة جدا . وفي فترة مبكرة جدا امسكنا بالمحاريث مع الصبيان من «المدن المحاربة» واحسسنا باقدامنا الحافية بدفء الارض ونحن نشق الاخاديد او نجمع سنابل القمح .

لم يكن لدينا وقت للدروس والدراسة . وقد كانـــت المدارس التي بدأت لتوها تبنى في القرى قبيل الحرب قليلة . وعندما انتهت الحرب كنا قد بلغنا الخامسة عشرة ، وكنا اذاك ناضجين . اننا لم نشعر بذلك غير اننا اصبحنا سندا لاولئك الذين بقوا على قيد الحياة ، وكان من واجبهم ان ياخذوا على عاتقهم جزءا من ذلك العمل الشاق الذي كان ضروريا من اجل تعمير الاقتصاد . ولهذا فان كتب ليونيد بريجنيف «الارض الصغرى» و«الانبعـــــاث» و«الاراضي البكر» عزيزة جدا ليس فقط على جنودنا الذين دافعوا عن الوطن وعلى العمال الذين اعادوا بناء المدن والمصانع ، بل علينا نحن ابناء الحرب ، وعلى جيلنا .

كان اقراني في سن الخامسة عشرة يمارسون الرعــي وسياقة الجرارات واللحام والبناء ...

ولكن مهما كانت الصعوبات كان الكبار يسعـــون في السنوات الاولى التي اعقبت الحرب الى ان ياخـــذوا على عاتقهم كل الاهتمام بالمستقبل ، وارسلونـــا الى المدارس والمدارس الداخلية والمعاهد المتوسطة وطلبوا منـــا الا ننقطع عن الدراسة .

«الاراضي البكر» .. انه كتاب عن الشعب السوفيتي وعن امميته . وهو لا يصف الاحداث والوقائع وحسب ، بـل يحللها تحليلا تاريخيا عميقا . وقد جاء في الكتاب حديث صارم وصادق عن الفترة التي سبقت استصلاح الاراضي البكر وعن استصلاحها . كما وردت فيه مشاهد مناطقيـــة لتلك الايام ووقائع متفرقة جرت في كازاخستان ، واصطدام اراء العلماء ، وبطولة وتفاني اولئك الذين شرعوا في خوض المعركة مع الاراضي البكر خلال فترات قصيرة وهم يلمون بالعمل الماما عميقا ، كما يعكس الكتاب لوحة واسعة جدا للمأثرة العظيمة التي اجترحها الشعب باسره .

لقد استعد الحزب منذ زمن طويـل لاستصلاح الاراضي البكر . غير ان الحرب كانت عائقا . وبعـــد ان فكرة الاستصلاح الواسع للاراضي البكر لم تمت . وكان الاراضي البكر نفسها قد دبت فيها الحياة منتظرة ساعتها .

ويكتب المؤلف : «ان النهوض بالاراضي البكر فكـــرة عظيمة للحزب الشيوعي يساعد تحقيقها اذا ما قرنـــا بالمقولات التاريخية على ان تتحول خلال لحظات ، الاراضي القاحلة والخصبة في وقت واحد والواقعة في شرقي البلاد الى منطقة ذات اقتصاد متقدم وثقافة عالية» .

واليوم ، بعد مرور عقدين ونصف من السنين حيثمــــا اصبحت عادية بالنسبة لنا كلمات : «كازاخستان تجني مليار بود من القمح» . لنتذكر كل تلك الوقائع من التاريخ ولايسعنا الا ان نغتبط لان تلك المعركة التي لم يعرف لها التاريخ مثيلا من حيث تعقيدها وابعادها ، المعركة من اجل تجديد اراضينا ، قد قادها باسم الحزب في تلك الايام والشهور ليونيد بريجنيف المجرب في سنوات نشر التعاونيات والذي تصلب في المعارك ضد الفاشية والذي اكسبته تجربة الحياة حكمة والابن البار للحزب والشعب .

ان سياسة الحزب الزراعية القائمة على اساس من الوقائع العلمية وعلى تجربة الشعب قد احرزت ثمرا عظيما .

لقد ربت الاراضي البكر اناسا جددا وانشات كوادر رائعة وتجددت كازاخستان كلها .

ويكتب بريجنيف : «لقد اعطت الاراضي البكر دفعة قوية لتطوير القوى المنتجة في كازاخستان ولنمو اقتصادها وعلمها وثقافتها . وظهرت مجمعات صناعية ضخمة» . ثم يقول «ان ملحمة الاراضي البكر قد بينت مرة اخرى للعالم كلـــــه الخصال الاخلاقية النبيلة للسوفيتيين واصبحت رمزا لخدمة الوطن بتفان وانجازا عظيما للعصر الاشتراكي» .

ان البلاد كلها تعرف اسماء الابطال الامجاد للاراضي البكر : جان سلطان ديسيك وميخائيل دولفيك وامانغيلدي ايساكوف وايفان ايفانوف وليونيد كارلاوزوف ويفدوكيا زايتشوكوفا والطالب فاسيل راموزوف الذي استشهد في اثناء احدى الكوارث الطبيعية واسماء العشرات والمئات والالاف غيرهم من الابطال . وقد تحدث السكرتير العام لحزبنا عن الكثيرين منهم في كتابه .

اجـــل ، لقد كان ثمن النصر في الاراضي البكر عظيمـــا وكانت هناك تضحيات واخفاقات مؤقتة . ولم تكن سهلة عملية اعداد الارض للاستصلاح والتي يكتب عنها ليونيد ايليتش بالمام عميق . ولكن نتيجة تلك المعركة كانت مسرة .

في خريف عام ١٩٥٤ ، اي العام الاول لاستصلاح الاراضي البكر تلقت البلاد ٢٥٠ مليـــــون بود من قمح كازاخستان وهذا اكثر بـ١٥٠ مليونا مما جمع سابقا في افضل السنوات .

ان المنظمة الحزبية في كازاخستان التي كان يقودها في تلك السنوات ليونيد بريجنيف ، قد منحت القوى ليس فقط للمعركة الكبيرة من حيث ابعادها في سبيل المحصول بل ساعدت بكل السبل على ان يزدهر بسرعة العلم والثقافة والفن والادب في الجمهورية . وفي اشهر الخريف من عام ١٩٥٤ حينما كان قمح المحصـــول الاول ينقل في ظروف صعبة عبر الطرقات الوعرة وحينما انبثقت مشاكل المواصلات وحينما لم تكن هنالك صوامع لحفظ القمح ، وحينمـــا كان ينبغي حل عشرات المسائل الاخرى التي لا تقل عن هذا تعقيدا وجد قادة الجمهورية برئاسة بريجنيف ، الوقت لدراسة حياة كتاب كازاخستان باهتمام وشاركوا في عمل المؤتمر الثالث للادباء ، الذي اصبح حدثا كبيرا في الحياة الثقافية بالجمهورية .

حينما نقرأ السطور التي تتحدث عن عمل منظمتنا وعن ادبنا الكازاخي ونحس بحرارة تلك الكلمات التي قيلت عن ابني شعبنا البارزين كاليش ساتبايف ومختـــار اويزوف (عويضوف) والكلمات الطيبة التي تقيم حياة وعمل كونايف فاننا نحن الادباء لا يعترينا فقط الشعور بالشكر بل نعي جيدا واجبنا امام الحزب والشعب .

وباختصار فان كتاب «الاراضي البكر» يمس شغاف قلوب ملايين الناس الذين شاركوا في البذل والنفس المعارك وهي المعركة من اجل القمح . وهو يجعلنا ننظر حوالينا ونحس بعظمة اعمالنا وضخامة خططنا . وسيصبح هذا الكتاب مفضلا لجيل كامل من السوفيتيين وخاصة لجيلنا .

ان هذا الكتاب عزيز علينا نحن الكازاخيين ، خاصة لانه يتحدث عن وعي ابائنا وعن تاريخ تجديدها .

اود ان اختتم السطور بكلمات رائعة من كتاب «الاراضي البكر» اعتبرها تجربة عمل حزب لينين العظيم .

«لقد بينت الاشتراكية منذ زمن بعيد : كلما كان نمو كل من الجمهوريات القومية اشد ، اظهرت بشكل اوضح عملية نشر الاممية . وربما كانت كازاخستان اسطع مثال على ذلك فقد جعلتها الاراضي البكر بدون اية مبالغة «كوكب مائـــة ملة» . واود ان اؤكد على الكلمات الاخيرة [illegible] المؤلف [illegible] الجمهوريات الشقيقة [illegible] ليونيد بريجنيف .

ليونيد بريجنيف يستقبل صدام حسين

في ١٢ كانـــون الاول (ديسمبر) استقبـــل ليونيد بريجنيف السكرتير العام للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي ، رئيس هيئة رئاســـة السوفيت الاعلى للاتحـــاد السوفيتي صدام حسين نائب امين سر القيـــادة القطرية لحزب البعث العربي الاشتراكي نائب رئيس مجلس قيادة الثورة في الجمهورية العراقية .

وقد اشترك في المحادثة اندريه غروميكو عضو المكتب السياسي للجنة المركزيـــة للحزب الشيوعي السوفيتي وزير خارجية الاتحاد السوفيتي وعضوا مجلس قيادة الثورة في الجمهوريـــة العراقية عزت ابراهيم وطارق عزيز .

وقد جرت المحادثـــة في جو ودي واعرب بريجنيف وحسين في خلالهـــا عن ارتياحهما لتطور التعاون الشامـــل وذي النفع المتبادل بين البلدين . وتم التاكيـــد بان الاتحـــاد السوفيتي والجمهورية العراقية يعتبران كمسالة هامة سياستهما الخارجية الراميـــة الى مواصلة تعزيز العلاقات السوفيتيـــة العراقية على اساس متين من معاهدة الصداقة والتعاون .

وان هذه المعاهدة ، حسب رايهما تستجيب للمصالـــح الجذرية الوطنية للبلدين ، وتخدم قضيـــة السلام في الشرق الاوسط ، ومهام النضال ضـــد الامبريالية والاستعمار والرجعية ، وقد اعرب عن العزم على تحسين التعاون ذي النفع المتبادل بين الاتحاد السوفيتي والعراق فـــي المجاليـــن السياسي والاقتصادي وغيرهما .

كما تم تبادل الاراء في المشاكل الدولية الملحة .

واعير في هذا الصدد اهتمام خاص للوضع في الشرق الاوسط ومصالح بلـــوغ سلام عادل وشامل في هذه المنطقة .

واشير الى ان هذا السلام العادل لايمكن بلوغه الا بشرط انسحاب القوات الاسرائيلية انسحابا تاما من جميـــع الاراضي العربية المحتلة في عام ١٩٦٧ واحقاق الحقوق الوطنية المشروعـــة للشعب العربي الفلسطيني بما فـــي ذلك حقه في تقرير المصير وانشاء دولته المستقلة . واعرب الجانبـــان عن استعدادهما لمواصلة تقديم الدعم الشامـــــل للنضال العـــادل الـــذي يخوضه العرب الفلسطينيون من اجل حقوقهم .

واشير في سياق المحادثة الى ان قرارات مؤتمر القمة ببغداد من شانها ان تلعب دورا هاما في النضال من اجل بلوغ تسوية عادلة لمشكلة الشرق الاوسط .

ويكتسب اهمية خاصـــــة في هذا النضال تلاحم جميع القوى التقدميـــة والوطنية في العالم العربي وتدعيـــم صداقتها وتعاونها مع الاتحاد السوفيتي وبقية بلدان المنظومة الاشتراكية .

وتقرر مواصلة اجراء اللقـــــاءات المنتظمة بين الشخصيات القياديـــة للاتحاد السوفيتي والعراق ، واشير الى انها تساعد بشكل فعال على تدعيم الثقة والتفاهم بين البلدين ، وتساعد على حل مسائل التعاون الثنائي بصورة عاجلة ، وتنسيق الاعمال سواء في شئون الشرق الاوسط او الشئـــون الدولية .

وقد حضر المحادثة :
من الجانب السوفيتي ضاموتيكين مقرر السكرتير العام للجنة المركزية للحــــزب الشيوعي السوفيتي ومن الجانب العراقي مرتضى سعيد عبدالباقي سفير الجمهورية العراقية في الاتحاد السوفيتي .

الاتحـــاد السوفيـــتي – افغانستـــان : صداقـــة متطـــورة

تحتل العلاقات السوفيتية–الافغانيـــة مكانا خاصا في تاريخ العلاقات الدولية لقد كـــان لانتصار ثورة اكتوبـــر الاشتراكية العظمى اهمية كبرى لنضال الشعب الافغانـــي ضد الاستعمـــار وباقامـــة علاقات دبلوماسية بين البلدين عام ١٩١٩ ، نشـــأ نموذج جديد للعلاقات بين الدول تقوم قبل كل شيء على احتـــرام مصالح الشعب الحقيقية .

لقد خدمت علاقات حسن الجوار بين البلدين خلال ٦٠ عاما مصالح البلدين الجارين . وهذا ما اكده الافغانيون والسوفيت على حد سواء . وتعتبـــر زيارة نور محمد تره كي السكرتيـــر العام للجنة المركزية للحزب الشعبي الديمقراطي في افغانستـــان ، رئيس مجلس الثـــورة رئيس مجلس وزراء جمهورية افغانستـــان الديمقراطيـــة للاتحاد السوفيتي تعتبر مرحلة جديدة في تاريخ العلاقات السوفيتية الافغانية كما انها اول زيارة يقوم بها رئيس الدولة الافغانية الجديدة لبلد اجنبي .

لقد رحب السوفيتيون بجمهوريـــة افغانستان الديمقراطية ، وليدة ثورة نيسان–ابريل الظافرة التي حققهـــا الوطنيون الافغانيون برئاسة نور محمد تره كي واعتبروهـــا [illegible] التقدم الشامل للبلد الصديق [illegible] عبروا عن استعدادهـــم [illegible] مخلصين للشعب الافغاني في مساعدته في تنفيذ برامج التحولات الاجتماعية الاقتصادية الواسعة التي رسمتها القيادة الثورية .

قـــال ليونيـــد بريجنيف : «ان المواطنين السوفيت يتابعون بتعاطف كبير الخطوات الاولى للثورة الافغانية التي شرعت في تنفيذ مهامها البناءة كما نعبر عن تضامننا الاخوي معكم» .

لقد جـــاءت المعاهدة السوفيتيـــة الافغانية للصداقـــة والتعاون وحسن الجوار التي تم التوقيع عليهـــا في موسكو مؤخرا ، تاكيدا لطابع جديد تتسم به العلاقات السوفيتية الافغانية المفعمة بالروح الرفاقيـــة والتضامن الثوري ، وتستهدف هذه المعاهدة تطوير التعاون الفعال الواسع الشامل القائم على المساواة والسيادة وعدم التدخل في شؤون الغيـــر . وتنص المعاهدة ايضا على التعاون مع الدول الاخرى المحبة للسلام ، وتاييد نضال الشعوب العادل في سبيل الحريـــة والتقدم الاجتماعي والنضـــال المشترك من اجل السلام والامن في العالم كله بما في ذلك اسيا .

لقد [illegible] السوفيتيون [illegible] الوثيقة [illegible] عاليا ، اذ قال : «ان المعاهدة الجديدة لا تكرس الصداقـــة بين شعبي الدولتين فحسب ، بل هي ايضا رد حاسم على الاعداء المشتركين للاتحاد السوفيتي ، بلد ثورة اكتوبر ولافغانستان ، بلد ثورة نيسان» .

واشار الطرفان في البيان السوفيتي الافغاني المشترك الى ان مباحثات موسكو والاتفاقات التي [illegible] خلالها ، [illegible] مساهمة هامة في مواصلة تطوير الصداقـــة وحسن الجوار والتعاون المثمر بين الاتحاد السوفيتي وجمهورية افغانستان الديمقراطية .

دالبلين

يوم حقوق الانسان

الاتحاد السوفيتي يحتفل بالذكرى الثلاثين لاقرار لائحة حقوق الانسان

* الاتحاد السوفيتي ملتزم بجميع الاتفاقيات الرئيسية الخاصة بحقوق الانسان بينما لم تبرم الولايات المتحدة بعد مواثيق هيئة الامم المتحدة المتعلقة بحقوق الانسان .
* اتساع حقوق الانسان في الاتحاد السوفيتي وخرقها في الولايات المتحدة .

الديمقراطية الحقيقية

احتفلت اوساط الرأي العام السوفيتي بيوم حقوق الانسان على نطاق واسع . وبهذه المناسبة عقد اجتماع جماهيري لممثلي المؤسسات الصناعية والدراسية ومعاهد الابحاث العلمية والمنشآت والدوائر الحكومية . افتتحه اليكسي شيبايف رئيس مجلس النقابات السوفيتية المركزي التي تضم الان ١٢٠ مليون عضو . وتليت في الاجتماع رسالة كورت فالدهايم السكرتير العام لهيئة الامم المتحدة الموجهة الى جميع الحكومات والمنظمات وشعوب كافة البلدان . واتخذ المجتمعون قرارا ارسلوه الى كورت فالدهايم . وجاء فيه : «ان الاوساط الاجتماعية السوفيتية تعلن عزمها الحاسم على مواصلة النضال في سبيل انتصار قضية السلم والتقدم الاجتماعي وضمان حقوق الانسان» .

كما القى بيوتر فيدوسييف نائب رئيس اكاديمية العلوم في الاتحاد السوفيتي خطابا في الاجتماع برهن فيه بالامثلة على ان الديمقراطية الاشتراكية السوفيتية هي ديمقراطية من نوع جديد وان مضمونها هو سلطة الشعب الحقيقية .

العدالة الاجتماعية وتطبيقها

لقد قضت ثورة اكتوبر العظمى على استغلال الانسان للانسان واستردت حقوق الجماهير وثبتت مبادئ المساواة الاجتماعية والعدالة . ولم يكن في العالم مجتمع وفر الحرية للجماهير الشعبية كما وفرتها الاشتراكية اذ يتمتع كل مواطن سوفيتي بكامل الحقوق والحريات وبفضل ذلك يستطيع الاشتراك في الحياة السياسية بنشاط . وتتوفر لدى كل مواطن سوفيتي امكانية اختيار طريق حياته حسب رغبته ومؤهلاته . وتعمل الدولة والمجتمع باستمرار على تحسين ظروف حياة وعمل المواطنين السوفيت وتضمن لكل واحد منهم حق العمل والسكن والدراسة والاستراحة ورعاية الصحة والضمان الاجتماعي والتقاعد عند الشيخوخة ، ان هذه الضمانات الثابتة تتيح للمرء ان يفهم روح التفاؤل الاجتماعي التي تسود مجتمعنا فالمواطن السوفيتي لا يشعر بالخوف من الغد زمن فقدان العمل والمأوى وحق المساعدة الطبية لان الدولة تحرص على حقوقه ومصالحه وتدافع عن كرامته كمواطن وانسان .

ان الديمقراطية الاشتراكية لا تعرف الجمود . وقد انعكست جدلية تطورها في الدستور الجديد للمجتمع الاشتراكي المتطور الذي وسع حقوق وحريات المواطنين ومساهمتهم المتزايدة في ادارة شؤون الدولة ولقد ثبت الدستور نشوء دولة الشعب باسره . لاول مرة في العالم تقوم على المبدأ الانساني القائل «ان الجميع يعني بخير كل فرد وكل فرد يعني بخير الجميع» .

الاتحاد السوفيتي وتطبيق المواثيق الدولية

يحتفل العالم في ١٠ كانون الاول –ديسمبر– بيوم حقوق الانسان اذ كانت الجمعية العامة لهيئة الامم المتحدة قد اقرت في نفس اليوم من عام ١٩٤٨ لائحة حقوق الانسان وقال بيوتر فيدوسييف ان الاتحاد السوفيتي الذي ساهم كثيرا في وضع هذه الوثيقة واقرها يبذل الجهود لكي تطبق في الحياة الدولية مبادئ الديمقراطية والانسانية وتراعى حقوق الانسان وحرياته الاساسية مراعاة صارمة .

ولكن لا بد مع الاشادة باللائحة تنبغي الاشارة الى ان بعض المواد الواردة فيها لم تكن متكاملة وان الوثيقة نفسها جاءت على شكل توصية لذلك لقد وضع في هيئة الامم المتحدة بمبادرة الاتحاد السوفيتي وغيره من الدول الاشتراكية ميثاق الحقوق المدنية والسياسية وميثاق الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية اللذان سجلت فيهما جملة واسعة من الحقوق الاجتماعية والاقتصادية الهامة ويعتبران خطوة الى امام بالمقارنة مع اللائحة .

وكان الاتحاد السوفيتي اول دولة كبرى ابرمت هذين الميثاقين بينما لم تبرمهما لحد الان الولايات المتحدة مع ان ممثليها يثرثرون كثيرا حول حقوق الانسان .

وهذا واقع بليغ الدلالة لان الايديولوجيين البرجوازيين يتملصون من خلال هذه الثرثرة عن الحقوق الاقتصادية والاجتماعية اي حقوق الانسان الرئيسية لانها تحدد وضعه المادي في المجتمع . وينجم عن عدم ضمان هذه الحقوق الجور الصارخ والتناقض التناحري بين مختلف الطبقات في المجتمع الراسمالي .

ان الايديولوجيين البرجوازيين الذين يدعون بان العالم الراسمالي عالم حر يحاولون التستر بقناع الديمقراطيين المدافعين عن حقوق الانسان التي تخرق على حد زعمهم في البلدان الاشتراكية ، الا ان الغرض من وراء هذه الحملة الصاخبة كان وما يزال ، تحويل انظار الرأي العام عن المشاكل الجذرية الاجتماعية التي تعجز الراسمالية عن حلها .

ومن جهة اخرى عقد الكسندر سوخاريف النائب الاول لوزير العدل السوفيتي مؤتمرا صحفيا لمندوبي الصحافة السوفيتية والاجانب اورد فيه وقائع عديدة ساطعة تدل على تكامل الحقوق التي يتمتع بها المواطنون السوفيت .

هذه هي الوقائع

* لا يعرف الاتحاد السوفيتي البطالة منذ عام ١٩٣٠ وقد وسع الدستور السوفيتي الجديد لعام ١٩٧٧ حق العمل الى حد كبير فلا يضمن للمواطن السوفيتي العمل فحسب بل واختيار المهنة ايضا ، بينما تحرم ملايين الناس في الغرب من هذا الحق الاساسي ويؤلفون جيشا من العاطلين عن العمل .

* سجلت في الدستور السوفيتي حقوق الانسان الاساسية التي تخلو منها دساتير الدول البرجوازية ، ومنها حق السكن . ففي الاعوام الخمسة عشر الاخيرة انتقل الى شقق جديدة اكثر من ثلثي سكان بلادنا . وفي العام القادم سيحصل المواطنون السوفيت على اكثر من ٦ الاف شقة يوميا ، ويزيد ذلك عما تبنيه من شقق الولايات المتحدة وبريطانيا واستراليا مجتمعة . وتؤلف اجرة السكن التي تقدمها الدولة للمواطنين حوالي ٣٪ من مداخيل العائلة وتعتبر ادنى اجرة في العالم .

* يضمن للمواطن السوفيتي حق رعاية الصحة ، وتقدم المساعدة الطبية في البلاد مجانا ، وقد سبق الاتحاد السوفيتي كل الدول الاخرى من حيث عدد الاطباء (٨٦٥ الف طبيب) ويستريح ويتناول العلاج حوالي ٥٠ مليون مواطن سوفيتي في آلاف المصحات ودور الراحة والبنسيونات سنويا وباجور مخفضة جدا .

* التعليم في الاتحاد السوفيتي مجاني بكل مستوياته كما يتحقق الانتقال الى التعليم الثانوي الالزامي ويتلقى اغلبية الطلبة رواتب شهرية اما نظام التعليم المسائي وبالمراسلة ليضمن امكانية التحصيل العالي دون انقطاع عن العمل .

* تضمن رواتب التقاعد لكل الكادحين ويحق للرجال ان يتقاعدوا بعد بلوغ سن الستين ويحق للنساء ذلك بعد الخامسة والخمسين .

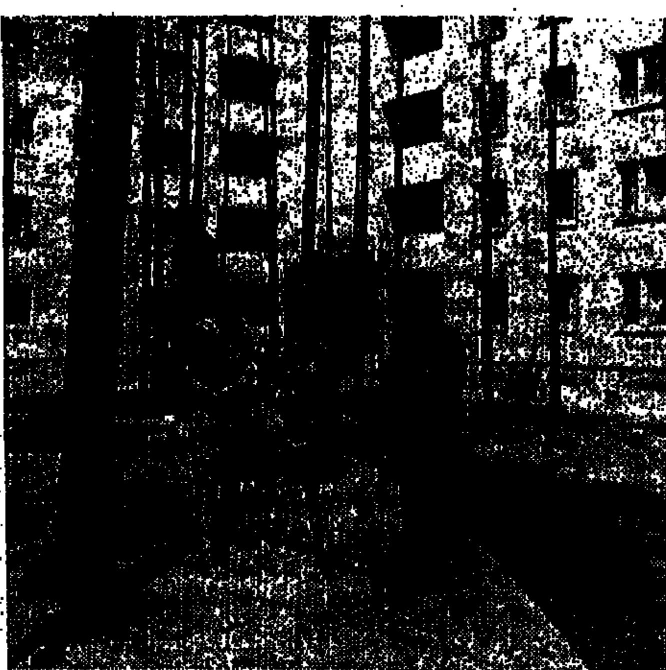
ان العمال والمستخدمين السوفيت لا يدفعون شيئا الى صندوق الضمان الاجتماعي لان الدولة هي التي تسد نفقاته .

* ينص الدستور السوفيتي على حماية العائلة من قبل الدولة الاشتراكية السوفيتية التي توسع شبكة دور الحضانة ورياض الاطفال وتسد ثلاثة ارباع تكاليف اقامة الاطفال فيها وبفضل وجود دور الحضانة ورياض الاطفال تتمكن ملايين النساء في بلادنا من مواصلة العمل بعد انجاب الاطفال (نقول بالمناسبة ان النساء يؤلفن في بلادنا اكثر من ٥١٪ من العاملين) .

* يضمن للمواطنين السوفيت الاشتراك في ادارة شؤون الدولة والمجتمع فانتخب الى السوفيتات المركزية والمحلية ٢ر٢ مليون شخص تؤلف النساء نصفهم .

* يراعي الاتحاد السوفيتي حقوق وحريات المواطنين الفردية مراعاة دقيقة ويحمي الدستور والقوانين حق الانسان في الحياة . فتضمن حصانة الفرد وحرمة مسكنه وحياته الخاصة ومراسلاته ومكالماته الهاتفية الخ .

ويضم الدستور الجديد عددا من الاحكام المبدئية التي تشدد على مراعاة الضمانات الحقوقية لحريات وحقوق المواطنين وحياتهم وصحتهم وممتلكاتهم وكرامتهم ولهم الحق في تقديم الشكاوى الى المحاكم ضد اي مسؤول يخالف هذه الضمانات .



لا ينص اي دستور من دساتير البلدان البرجوازية على حق المواطن في السكن وفي الحصول على شقة مزودة بكل اسباب الراحة وبعد أدنى من الاجور . وان هذا الحق لم يثبت في دستورنا وحسب ، بل ان الحجم الهائل للبناء السكني في الاتحاد السوفيتي يضمن هذا الحق .

ان كل مواطن سوفيتي يمتلك حقا دستوريا في التعلم . ويوجد في بلادنا اليوم عشرة ملايين طالب وطالبة يدرس حوالي نصفهم في المعاهد المسائية وبالمراسلة وفي المدارس التكنيكية المتوسطة .

مقتطفات من الصحف السوفيتية

العناية بالمسنين في المزرعة

وضع في المزرعة الحكومية «لينين» مشروع للتنمية الاجتماعية قبل ١٠ اعوام تقريبا . وفي سياق تنفيذ هذا المشروع بني حي جديد في البلدة تضم بيوته مئة وثمانين شقة وكذلك ناد يستطيع ان يستقبل ٤٠٠ متفرج وقصر للرياضة ومركز اداري ومجمع للخدمات العامة وروضتان للاطفال و٢٧ بناية للاغراض الانتاجية ، وتبنى الان روضة اخرى تستقبل ١٥٠ طفلا ويصمم مسبح مسقوف وعدا ذلك تم تشييد دار للعمال القدامى الوحيدين تسع عشرين فردا يقيمون في غرف مريحة ذات تدفئة مركزية ومفروشة بالاثاث الحديث .

ويوجد في الدار مطعم ومطبخ مجهز بطريقة حديثة وغرف للاستراحة حيث يمكن مشاهدة برامج التلفزيون وحمامات وناد وغير ذلك .

ويعيش في هذه الدار العمال المسنون العجزة الذين ليس لهم معيل .

وتسدد المزرعة معظم نفقاتهم ، اما هم انفسهم فلا يدفعون الا جزءا من رواتب التقاعد ، مع العلم بان اصحاب الرواتب الصغيرة يعيشون في الدار مجانا .

«سوفيتسكايا استونيا»
تالين

بلدة للشباب

شيد مجمع ثقافي في بلدة جديدة لطلبة مدارس التعليم المهني في مدينة كاوناس (جمهورية ليتوانيا السوفيتية) وهذه البلدة مركز دراسي سيتعلم ويعيش فيه اكثر من ٧ الاف فتى وفتاة ، ويجري تشييدها باموال بعض المؤسسات الصناعية العاملة في المدينة .

واتخذ قرار بتجميع ٩ مدارس كبيرة للتعليم المهني في مكان واحد حسب توصية اللجنة الدائمة الخاصة بشؤون الشباب لدى مجلس بلدية كاوناس . وقد صادقت دورة المجلس على هذا الاقتراح اثناء مناقشة الخطة العامة للبناء في المدينة وقررت اشراك المهندسين المعماريين والاقتصاديين وعلماء الاجتماع في تنفيذ المشروع .

والجدير بالذكر ان تكاليف بناء البلدة اقل بكثير من تكاليف بناء مدارس متفرقة في اماكن مختلفة لتم ادخار اكثر من مليوني روبل بفضل بناء القاعدة الدراسية والانتاجية المشتركة للمدارس والخدمات العامة والمرافق . وسينفق هذا المبلغ على بناء ملعب ومسبح مسقوف ، وبدأ غرس حديقة الى جانب البلدة .

«سوفيتسكايا ليتفا»
فيلنوس

اسرار المدينة

ان الحفريات المنتظمة في مدينة اوترار القديمة وغيرها من القرى في وادي نهر سيرداريا تجري منذ سنوات عديدة . ولقد اثبت علماء الاثار انه كانت توجد في اراضي كازاخستان في القرون الوسطى مدنية عالية التطور وفي ما يلي يتحدث اكيشيف الدكتور في فلسفة العلوم التاريخية عن نتائج حفريات الموسم الحالي الذي انتهى لتوه .

– لقد افرح الموسم الباحثين . لقد اكتشف بناء من ابنية القرون الوسطى يتميز بالاصالة . وهو يقع على ضفة حوض للمياه على مسافة مئتي متر من الباب الجنوبي الغربي للمدينة واتضح انه حمام بلدي .

يتألف القسم الاساسي للحمام من بناء على شكل صليب تتوسطه قاعة مثمنة الاضلاع وتتوزع باقي الحجرات في اطراف البناء الاخرى . في احداها كان يوجد مستودع يملأ بالماء عبر الانابيب من الاجر . ومنه كانت المياه تذهب الى حجرة اخرى ينتصب فيها قدر يسخن بواسطة البخار الذي يصل عبر متاهات من الاقنية المرصوفة تحت ارضية الغرفة . ولقد بقيت احواض الاستحمام الاجرية سليمة وهي ملبسة من الخارج بتربيعات زرقاء ، ومغطاة من الداخل بملاط مقاوم للمياه .

في الجهة اليمنى من المدخل بقيت عدة ركائز من الاجر المحروق ، هي قواعد اعمدة للشرفة ، يعتقد انها كانت شايخانة . والذكر بالمناسبة ان الحمامات البلدية الشرقية كانت تستخدم في تلك العهود ، ليس فقط كمكان للاستحمام ، بل وكمكان يهرع اليه الناس للراحة وراء قدح من الشاي وللاطلاع على اخبار المدينة . ويرى العلماء ان البناء المكتشف هو من الدر المنشآت الهندسية المعمارية في القرن الرابع عشر .

كذلك استمرت الحفريات في مجموعة ما يسمى بالقرى الزراعية المبكرة في الدلتا القديمة لنهر اريس ، وكانت مدينة كوك–ماردان تعتبر اكبر مدينة في تلك المنطقة ، كما اكتشفت مناطق الابنية السكنية . وكانت جدران البيوت المؤلفة من غرفة واحدة مبنية بقطع مستطيلة من الاجر ، وكان السقف المسطح من القصب المطين يحتل القضبان الخشبية والركائز . وكانت المساكن تدفأ بواسطة مواقد ثابتة في الجدران والاطعمة تحفظ في اوعية من الفخار . ولقد درس علماء المستحاثات النباتية محتوياتها واثبتوا ان المستوطنين كانوا يزرعون الدخن والارز والقمح والحنطة السوداء ، وعثر على بذور البطيخ الاحمر والبطيخ الاصفر والمشمش المجفف ، اي ان اجدادنا القدماء كانوا يشتغلون بزراعة البطيخ والبستنة . وكانت البساتين تروى بواسطة قنوات الري بالراحة (السيح) التي تنطلق من احواض المياه وروافد نهر اريس .

ان حفريات كوك–ماردان قد سمحت بالاستنتاج بان الزراعة في كازاخستان كانت على مستوى عال من التطور في العصور الغابرة .

«برافدا»
موسكو

الجديد في الاسطول الجوي السوفيتي

تنقل طائرات ايروفلوت سنويا زهاء ١٠٠ مليون راكب . ولا ينحصر سبب شعبية الطيران المدني في اختصاره زمن السفر اختصارا كبيرا وحسب ، بل وفي سهولة الافادة من خدمات هذا النوع من وسائل النقل ايضا .

ولكي يكون الطيارون على مستوى الحجم المتنامي للتنقليات ، يتعين عليهم ان يحلوا مهمات كثيرة . واحدى اهم هذه المهمات هي مواصلة تحسين وتجديد تكنيك الطيران . ففي السنتين الماضيتين وحدهما حلت محل طائرات «ايل–١٨» و«تو–١٠٤» و«تو–١١٤» و«تو–١٢٤» طائرات حديثة من طراز «ايل–٦٢» و«تو–١٥٤» و«تو–١٣٤» و«ياك–٤٠» على اكثر من ١٧٠ خطا جويا .

وفي السنوات القليلة القادمة ستحلق اول طائرة (باص جوي) من طراز «ايل–٨٦» تسع ٣٥٠ راكبا الى مسافة ٥٠٠٠ كيلومتر وبسرعة ٩٠٠–٩٥٠ كيلومترا في الساعة وهذه الطائرة تتفوق على الكثير من الطائرات العاملة حاليا من حيث المواصفات التكنيكية الهامة. فهي سهلة القيادة واقل استهلاكا للوقود ولا تتطلب نفقات كبيرة للصيانة .

اما على الخطوط التي يقارب طولها ٢٠٠٠ كيلومتر فستظهر قريبا الطائرة الجديدة «ياك–٤٢» ، وهي مخصصة لنقل ١٢٠ راكبا مع امتعتهم ، وتبلغ سرعتها ٨٢٠–٨٧٠ كيلومترا في الساعة .

وقد اخذ المصممون ، بالاعتبار آفاق استخدامها الواسع في المناطق الشرقية والشمالية من البلاد وعلى الخطوط المحلية فزودوها بعجلات هبوط تسمح لها باستخدام المطارات الترابية ذات المدارج القصيرة .

وقد بدأت العمل على الخطوط المحلية الطائرة «الميكروباص» «ل–٤١٠» ذات المحركين والمخصصة لنقل ١٧ راكبا وتطير لمسافة ٦٠٠ كيلومتر بسرعة تصل الى ٣٨٠ كيلومترا في الساعة . ولقد اثبتت هذه الطائرة جدارتها على خطوط سيبيريا والشمال الاقصى وآسيا الوسطى ، فهي تستطيع التحليق في ظروف جوية صعبة . كما ان تصميم الطائرة يسمح ، اذا اقتضى الامر بتحويل صالونها الى صالون للركاب والحمولة معا وحتى للحمولة فقط وتتصف بهذه المواصفات ايضا الطائرة «الميكروباص» «آن–٢٨» التي ستبدأ في القريب العاجل الطيران على الخطوط المحلية .

وتشير حسابات الاختصاصيين الى ان حجم الشحن الجوي في بلادنا سيزداد الى ١١ ضعفا خلال الخطة الخمسية العاشرة ، وخاصة على خطوط المناطق ذات التطور العاصف في سيبيريا والشرق الاقصى وهذا يتطلب صنع طائرات بعيدة المدى وذات حمولة كبيرة ، مع درجة عالية من مكننة اعمال الشحن والتفريغ . وقد بدأت العمل على الخطوط طائرة النقل الجديدة «ايل–٧٦» وهي تنقل الحمولات ذات الاحجام الكبيرة التي يبلغ وزنها حتى ٤٠ طنا ، وتحمل الى مختلف مناطق البلاد المعدات والآلات ذاتية الحركة وكميات كبيرة من الخضار والفواكه .

اما الطيران الزراعي فقد خصص دور كبير له في برنامج تطوير زراعتنا ويلزمنا هنا تكنيك حديث اكثر انتاجية كطائرة «م–١٥» مثلا ، وهي اول طائرة نفاثة زراعية .

«لينينسكويه زناميا»
موسكو

انتج مصنع «كاشتيه» لصناعة الراديوهات دفعة تجريبية من اجهزة الراديو «كارتس ٤٠٧» الجديدة ذات شعارات اولمبية .
وسينتج المصنع قريبا هذه الاجهزة (٧ ترانزستور) على نطاق واسع وهي ذات موجات متوسطة وقصيرة وتمتاز بحجمها الصغير .

جمهورية اوكرانيا . الدور الريفية الناصعة البياض بسقوفها المشيدة من القش وطواحين الريح وورشات الحدادة وافران صنع الاواني الفخارية–كل هذا يمكن مشاهدته في قرى الضواحي الجنوبية من كييف ، التي يزورها الالوف من سكان العاصمة وضيوفها للاطلاع على معروضات متحف فن العمارة الشعبية في جمهورية اوكرانيا . ويعرض الصناع الشعبيون في قاعات المتحف اساليب صنع منتوجات النسيج والحياكة والحدادة والمصنوعات الفخارية والفنية .

في الصورة : * عند مدخل المتحف . * الكسندرا سيليوتشينكو الفائزة بلقب الاستحقاق من مهرة الفن الشعبي في جمهورية اوكرانيا السوفيتية تصنع لعبا من الفخار . * من معروضات المتحف–كنيسة في قرية زاروبينتسي من مقاطعة تشركاسي ، شيدت عام ١٧٤٢ .



بمناسبة يوم التضامن العالمى مع الشعب الفلسطينى افتتح فى دار الصداقة بموسكو معرض يتحدث عن العلاقات الودية بين الشعبين السوفيتى والفلسطينى .

دفاعا عن حقوق الشعب العربى الفلسطينى

بمناسبة يوم التضامن العالمى مع الشعب العربى الفلسطينى ، عقدت فى كثير من المدن السوفيتية اجتماعات اعرب ممثلو الرأى العام السوفيتى خلالها عن تأييدهم التام لنضال الشعب الفلسطينى فى سبيل استرجاع حقوقه الوطنية المشروعة . وعقد فى دار الصداقة مع شعوب البلدان الاجنبية بموسكو اجتماع لمندوبى بعض المنظمات الاجتماعية السوفيتية الذين اقترحوا تشكيل لجنة سوفيتية للصداقة والتضامن مع الشعب العربى الفلسطينى .

نيويورك ، من مراسلنا الخاص

ومن جهة اخرى كتب مراسلنا فى نيويورك لوكوشافيتشوس يقول :

كان ذلك اليوم غير عادى حتى بالنسبة لنيويورك ، المدينة المتعددة القوميات الصاخبة الضاجة بحركة المرور . ففى ذلك اليوم احتفلت منظمة الامم المتحدة بيوم التضامن مع الشعب الفلسطينى . ومرت امام مقر سكرتارية هيئة الامم المتحدة تظاهرة جماهيرية حمل المشاركون فيها لافتات تعبر عن تأييد نضال الشعب العربى الفلسطينى .

وقد اثارت اهتماما كبيرا فى دوائر هيئة الامم المتحدة رسالة ليونيد بريجنيف الى ياسر عرفات رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية بمناسبة يوم التضامن العالمى مع الشعب الفلسطينى .

كما تحدث ياروشيك المندوب الدائم لجمهورية بولونيا الشعبية فى لجنة الحقوق الثابتة للشعب العربى الفلسطينى باسم البلدان الاشتراكية مشيرا الى ان هذه البلدان دافعت وتدافع عن حقوق الشعب الفلسطينى باستمرار . ثم تحدث فى جلسة اللجنة ذاتها ، فالدهايم السكرتير العام لهيئة الامم المتحدة .

هذا وكان يوم التضامن العالمى مع الشعب الفلسطينى قد لفت إنتباه الرأى العام العالمى الى وضع الشعب العربى الفلسطينى والى مشاكل الشرق الاوسط بوجه عام .

قضيـــة الفلسطينيين العادلـــة

احتفلت اوساط الرأى العام العالمى على نطاق واسع ، بيوم التضامن العالمى مع الشعب الفلسطينى ، وكان ذلك دليلا ساطعا على تأييد نضاله العادل تأييدا كاملا . ويكتسب هذا التأييد فى ايامنا هذه اهمية خاصة .

ومما زاد من الحدة السياسية للقضية الفلسطينية حرب اقتتال الاخوة فى لبنان التى وجهها مثيروها ضد فصائل حركة المقاومة الفلسطينية وكذلك مؤامرة كامب ديفيد المعادية للعرب . واظهر هذان العاملان بوضوح مرة أخرى ان مسألة ضمان الحقوق القومية للشعب العربى الفلسطينى انما هى جوهر الصراع فى الشرق الاوسط ومحوره ذالان فلنلق نظرة الى التاريخ .

* عام ١٩٧٣ : كانت حرب تشرين على وشك الانتهاء . وتقدمت منظمة التحرير الفلسطينية ببرنامج بناء لحل القضية الفلسطينية عن طريق تكوين دولة مستقلة فى اراضى الضفة الغربية وقطاع غزة .

* عام ١٩٧٤ : عقد مؤتمر القمة فى الرباط حيث ايدت كل البلدان العربية ذلك البرنامج كما اكدت الجمعية العامة لهيئة الامم المتحدة فى نفس العام حق الشعب الفلسطينى الثابت فى الاستقلال الوطنى والسيادة . واعترفت الاسرة العالمية بمنظمة التحرير الفلسطينية ، ممثلا شرعيا وحيدا للشعب الفلسطينى .

ان تحول الاحداث هذا لم يكن فى صالح مخططات الامبريالية والصهيونية فبذلتا كل جهودهما للحيلولة دون تكوين دولة فلسطينية مستقلة وابعاد منظمة التحرير الفلسطينية عن المشاركة فى مؤتمر جنيف . وبغية النيل من سمعة المنظمة حاولت الصحف الغربية تصوير المقاتلين الفلسطينيين كارهابيين غير مبدئيين كما حاولت استمالة اوساط الرأى العالمى لتأييد سياسة حكام اسرائيل . غير ان الجمعية العامة لهيئة الامم المتحدة قد اكدت فى دورتيها التاسعة والعشرين والثلاثين ان نضال الشعب العربى الفلسطينى فى سبيل حقه فى تقرير مصيره انما هو نضال مشروع يخوضه باية وسيلة كانت بما فى ذلك السلاح .

ونظرا لعقم محاولة التقليل من وزن منظمة التحرير الفلسطينية على الصعيد الدولى علقت اسرائيل والاوساط الرجعية الغربية التى تؤيدها آمالها على احداث لبنان . غير ان مخططات اعداء الشعب الفلسطينى هذه باءت بالفشل ايضا فلم يتسن لهم تجريد قوات المنظمة من قوتها بل بالعكس تصلب المقاتلون الفلسطينيون فى المعارك ضد الجيش الاسرائيلى واكتسبوا خبرة عسكرية جديدة والتفوا حول منظمة التحرير الفلسطينية كل الالتفاف .

وفى الوقت نفسه كشفت احداث لبنان التى لقى خلالها الوف الابرياء شيوخا ونساء واطفالا مصرعهم ، كشفت القناع عن الصهاينة الاسرائيليين واظهرت وجههم الحقيقى ، وجه القتلة والارهابيين الدوليين .

لقد اصبح تدخل اسرائيل فى لبنان امرا ممكنا بفضل الخدمات الكبرى التى قدمها للمعتدى الرئيس المصرى انور السادات . فان تخلى القاهرة عن النضال العربى ضد العدو الصهيونى قد ادى الى تغيير ميزان القوى الاستراتيجى فى هذه المنطقة لصالح اسرائيل ، وان تل ابيب ، كما اظهرت الاحداث ، تتحدث مع السادات من موقف القوة وتحرز النجاح نتيجة ذلك . ودليل ذلك فرض مشروع الحكم الادارى الذاتى على الاراضى العربية المحتلة الذى يعنى جعل الاحتلال امرا مشروعا .

وتدعى القيادة المصرية بان توقيعها على المعاهدة لا يتم الا بعد موافقة اسرائيل على ضمان مواعيد ثابتة لاقامة الحكم الذاتى فى الضفة الغربية وفى قطاع غزة (المقصود اواخر عام ١٩٧٩) . ولكن بعض اسباب تأجيل فى توقيع المعاهدة يكمن فى البحث عن صيغة لغوية لتحديد الربط بين حل القضية الفلسطينية والمعاهدة المصرية الاسرائيلية الانفرادية . حيث يراد من تلك الصيغة ان تكون غامضة ومعقدة لدرجة تتيح لانور السادات انقاذ سمعته من جهة ولا تفرض شروطا ملموسة على المحتلين الاسرائيليين ، من جهة اخرى .

ولتحقيق المخططات الغادرة اثار المشاركون فى مؤامرة كامب ديفيد ومازالوا يثيرون الشغب بين العرب ويعملون على توسيع عدد المشاركين فى هذه الصفقة الخيانية باشراك مستسلمين جدد فيها . وفى نفس الوقت فان وسيل واشنطن بحثوا عن عملاء بين الشخصيات الفلسطينية فى الاراضى المحتلة . الا ان سكان الاراضى المحتلة رفضوا المشروع الاسرائيلى للحكم الذاتى رفضا باتا ، كما باءت بالفشل محاولة اقناع البلدان العربية الاخرى بالانضمام الى هذه المؤامرة . واعلن المشاركون فى مؤتمر بغداد رفضهم اتفاقات كامب ديفيد ، وبذلك فشلت محاولة شق صفوف البلدان العربية الاخرى وجدير بالذكر ان القضية الفلسطينية بالذات قد اصبحت عامل توحيد للبلدان العربية لان هذه القضية ، كما اشير فى بيان مؤتمر بغداد ، هى قضية مصيرية بالنسبة للامة العربية وجوهر الصراع ضد العدو الصهيونى . واشير فى البيان كذلك الى ان «اعادة الحقوق المشروعة للشعب العربى الفلسطينى هى مسؤولية وطنية عامة» .

لقد اكد مؤتمر بغداد مرة اخرى ان من المستحيل تسوية ازمة الشرق الاوسط دون حل القضية الفلسطينية لمصلحة الشعب العربى الفلسطينى . لذلك يجب على كل من يسعى الى التسوية السلمية فى الشرق الاوسط ان يؤيد القضية العادلة للشعب العربى الفلسطينى بكل السبل .

اما الاتحاد السوفيتى وبلدان الاسرة الاشتراكية فقد اكدت فى البيان الصادر عن اجتماع اللجنة السياسية الاستشارية للدول الاعضاء فى معاهدة وارشو المنعقد فى موسكو مؤخرا ، موقفها المبدئى لاحلال سلام عادل ووطيد فى الشرق الاوسط وتسوية قضايا الشرق الاوسط تسوية سياسية شاملة والتى تقتضى سحب القوات الاسرائيلية من كل الاراضى العربية المحتلة عام ١٩٦٧ واحقاق حق الشعب العربى الفلسطينى الثابت فى تقرير مصيره بنفسه بما فى ذلك تكوين دولته الوطنية ، وكذلك ضمان استقلال وامن دول هذه المنطقة قاطبة وبضمنها اسرائيل . واعلنت بلدان الاسرة الاشتراكية انها ستواصل النضال مع الدول والشعوب العربية وجميع القوى التقدمية فى سبيل التسوية المشار اليها والتى لا يمكن التوصل اليها الا بمشاركة الاطراف المعنية بما فى ذلك منظمة التحرير الفلسطينية .

كابرالوف



متاع فالس الى الشرق الاوسط !

ليونيـــد بريجنيـف
الاراضى البكر

ننشر أدناه الجزء الثانى والأخير من كتاب السكرتير العام للجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفيتى .

– ٥ –

فى القواميس القديمة تجدون كلمة «تسيلينا» (الاراضى البكر) ، ولكنكم لن تجدوا كلمة «تسيلينيك» (مستصلح الاراضى البكر . الناشر .) فقد ولدت هذه الكلمة فى الخمسينيات ، مثلما ظهرت فى سنوات اشاعة التعاونيات فى الزراعة كلمة «كولخوزنيك» (عضو جماعة المزرعة التعاونية الناشر .) . والذاك فقدت كلمة «تسيلينا» (الاراضى البكر) معناها الزراعى الصرف ، واصبحت تعبيرا ذا مغزى اجتماعى ، لأنها كانت تنطوى على الشعور الرفيع بالمسؤولية المواطنية الاجتماعية وعلى الوطنية السوفييتية العميقة . ان «التسيلينيك» شخصية تاريخية انجبها زمن بطولى . وهذه التسمية ترمز الى طبع خاص ، متميز ، اشترطته مقتضيات الزمن .

ذات مرة ، عندما وصلت الى احد سوفخوزات كوستاناى حيث كان يوجد بيت صغير جاهز واحد فقط ، وحيث كان الناس لا يزالون يعيشون فى الخيام وفى الأكواخ الترابية ، علمت انهم قدموا افضل غرفة فى هذا البيت لزوج وزوجة من الشباب رزقا ابنا . وبهذه المناسبة احتفل الجميع ! وقال لى الوالد السعيد :

– صحيح اننا جئنا للتو الى هنا ، ولكن بوسعك ان تعتبرنا الآن من «التسيلينيكين» الاصليين .

فاعترضت قائلا :

– كلا . حتى الآن ليس عندكم فى عموم الاستثمارة سوى تسيلينيك اصيل واحد ، هو هذا الصبى الذى ولد . اما انتم ، فلا يزال يتعين عليكم ان تصبحوا من السكان الاصليين فى هذه الانحاء وبرأيى ان هذا لن يحدث على الفور . ولن يكون الحال سهلا .

واتذكر احاديث قديمة جرت لى فى الربيع والخريف فى مقاطعة تسيلينوغراد ، فى ناحية اتباسار المذكورة آنفا . كانت هذه الاحاديث مختلفة تماما . فى الربيع الاول من استصلاح الاراضى البكر سمعت شكاوى القادة من ان القادمين هم ابعد من ان يكونوا جميعهم عازمين على البقاء فى هذه الانحاء . وقال زاوودالوف ، مدير سوفخوز «مارينوفسكى» :

– ان قوام هؤلاء متنوع من جهة ، ومن جهة اخرى اشبه بالعسكر–جميعهم من الشبان . اليوم هنا ، وغدا تستهويهم اماكن اخرى .

فقلت موافقا :

– اجل ، مشكلة ... الشبان تلازمهم الرومانطيقية . بعد سنة او سنتين ، سيبدأ قسم من الشباب فى الرحيل . وانت ترى بعينك : الاغلبية لا ترغب فى العيش الا فى الخيام . يطيب لهم ، والحق يقال ، المزيد من المصاعب لكى يكون لديهم ما يتغلبون عليه . بعد ان يؤدى الفتيان عملهم ببناء كل ما هو ضرورى للأولة الاولى يشعرون بالملل ، ويطيرون الى اماكن اخرى .

– وما علينا ان نعمله ؟

– ايجاد سبل لتثبيت الكوادر . انى ارى سبيلين . يجب دعوة الفتيات الى هنا . الحلابات الباذرات ، عاملات التلفون ، الطباخات ، الطبيبات المعلمات ، –وهل الاعمال لهن قليلة الآن ، وهل تكون قليلة غدا فى الاماكن الجديدة ؟ ادعوا الفتيات ، يبق كثيرون من الشبان هنا الى الابد اما السبيل الثانى فهو دعوة ذوى العائلات . ولكن وفروا لهم سلفا ظروف الحياة اللائقة . وهذا ما يمكننا من تعمير هذه الارض .

واذا تاملنا فى الامر رأينا ان هذا الحديث تناول تخطيط السعادة البشرية .. كل فرد بحاجة الى المنزل والاسرة والحب والاولاد. ليس بوسع الدولة والمجتمع ان يفردا لكل فتى عروسا «بالمقسوم» بالنصيب كما كان يقال فى الماضى ولكن عليهما ان يبذلا الجهد كى لا تكون فى البلاد مناطق «رجالية» بحتة او مدن «نسائية» بحتة . واذا ما جرى حل المشاكل الديموغرافية بصورة علمية ومعقولة ، فان الشبان والشابات سيجدون بعضهم بعضا ويكونون سعداء بل ينبغى ان يكونوا سعداء ، لأنه بدون ذلك يستحيل هناء البلاد .

وسرعان ما صارت ناحية اتباسار بالذات صاحبة المبادرة فى دعوة الفتيات الى منطقة استصلاح الاراضى البكر ، وبعد عودتى الى الما-آتا ، قرأت بسرور فى «البرافدا» بتاريخ ١٧ تموز (يوليو) ١٩٥٤ نداء وجهته العاملات الشابات فى سوفخوز «مارينوفسكى» راينسا اميليانوفا ، والكسندرا زامتشى ، وايلينا كليشنيا ، وفالنتينا ليبوتشاتوفا وبولينا باشكوفا ، ولودميلا سيميونوفسكايا ، الى الفتيات والنساء فى البلاد ، لأجل المجىء الى مناطق استصلاح الاراضى البكر . وقد لقى النداء صدى واسعا للغاية . وعندما رحت فى الخريف الى اتباسار لمشاهدة الحصاد ، تقابلت من جديد مع زاوودالوف

صورة للاجتماع الذى عقد بمدينة الما–آتا فى الخامس عشر من شهر آذار عام ١٩٧٤ ، احتفالا بمناسبة مرور عشرين عاما على بدء استصلاح الاراضى البكر .

*

المجتمعون يستقبلون الرفيق ليونيد بريجنيف بعاصفة من التصفيق المتواصل .



كان في آن واحد مسرورا ومهموما للغاية ، سألته:

— هل طرا شيء ما ؟

— عفوا ، يا ليونيد ايليتش ! انا الآن كأنني لست مديرا ، بل كبير سعاة البريد ... تلقى السوفخوز آلاف الرسائل من الفتيات ، جميعهن مستعدات للمجيء ، جميعهن يردن ان يأتين الينا بالضبط ! ينبغي ضبط هذا الامر بطريقة ما . فعدا سوفخوزنا يوجد كثير من السوفخوزات الاخرى والا فقد يغدو سوفخوزنا ، والحالة هذه ، معرضا للعرائس ولا يبقى استمارة انتاجية !

وبالفعل كانت الهموم المتعلقة «بمفارز الانزال من الفتيات» كثيرة . ولكن الحياة في مناطق استصلاح الاراضي البكر اخذت تتغير امام الابصار حقا وفعلا ، وشرعت تتحول اكثر فاكثر من حياة المخيمات ، «الحياة العسكرية» ، الى حياة عادية منتظمة ، مريحة . واني رحت اليوم الى مناطق الاراضي البكر المستصلحة التقي دائما عاملين ولدوا فيها . فان الحياة في هذه الانحاء قد مدت جذورا عميقة ، قوية ، راسخة .

فمع بطل العمل الاشتراكي جان سلطان ديمبيف يمضي الى الحقل ابنه ، ميراش ديمبيف . والى جانب ممثل الرعيل الاول الذائع الصيت من مستصلحي الاراضي البكر ميخايل دولجيك وفلاديمير ديتيوك تعرف هذه الارض ابنيهما زارعي الحبوب الجيدين اللذين ولدا هنا ، فلاديمير ميخايلوفيتش دولجيك وغريغوري فلاديميروفيتش ديتيوك . ولقد تسنى لي وزرت غير مرة سوفخوز «جدانولسكي» في مقاطعة كازاخستان الشمالية ، وتلاقيت مع مديره مارك بافلوفيتش ليكولنكو . وعندما احيل هذا الرائد الى التقاعد ، اخذ ابنه فلاديمير ماركوفيتش ليكولنكو يدير السوفخوز . واثناء استصلاح الاراضي البكر استحق سائق الحاصدة الدارسة في سوفخوز «ليتيلسكي» في ناحية قرمسو بمقاطعة كوستاناي امان غلدي عيساكوف لقب بطل العمل الاشتراكي اما ابنه فلاديمير امان غلدينوفيتش ، فهو الآن كبير المهندسين الزراعيين في سوفخوز «كويباغارسكي» في الناحية ذاتها . واسس سائق الحاصدة الدارسة في سوفخوز «سامارسكي» بمقاطعة تسيلينوغراد ايفان غريغوريفيتش كوسميتش سلالة حقيقية من زراع الحبوب : فمعه يزرع الحبوب ويجنيها ابناؤه التسعة ! والامثال من هذا النوع كثيرة واي كثرة . ولقد تحقق كل شيء تماما كما كان مخططا : فقد تم استصلاح رقع جديدة من الارض ، وبقي الناس يعيشون فيها .

ان الخيمة التي كانت تعيش فيها فرقة دولجيك اثناء استصلاح الاراضي البكر معروضة من زمان في متحف الثورة في موسكو . وحيث كانت تقوم فيما مضى الخيام والاكواخ الترابية ، انتصبت وتنامت مئات من البلدات السهبية . والآن يعيش في المناطق المستصلحة من الاراضي البكر في كازخستان ويعمل في الزراعة مليون ومائتا الف شخص . وقد غدت هذه الانحاء معمورة ومأهولة بالسكان مثلها مثل اي منطقة اقتصادية اخرى من مناطق الاتحاد السوفيتي.

ان الصور الملتقطة في السنوات الاولى من استصلاح الاراضي البكر تبعث الكثير في الذاكرة ففي الصور—سهب مقفر ، وقوافل من المقطورات التي تسحبها الجرارات ، اوتاد عليها اسماء السوفخوزات ، خيام ، اكواخ ترابية ، بيوت ضيقة ذات عجلات ، مساكن طينية دون سقوف مألوفة واطلق عليها آنذاك اسم «الطواقي البحرية». كان الناس يأوون في هذه المساكن على ضوء شاحب من الفوانيس وقناديل الكاز . وكان كل شيء عندهم موقتا ، غير مستقر وغير مريح . ولكن انظروا الى وجوه هؤلاء الناس : فما اعظم مرحهم وفرحهم . التفاؤل والثقة يشعان في كل ابتسامة ، في كل حركة . وجميعنا نحن الذين كنا نعمل آنذاك في مناطق استصلاح الاراضي البكر كنا نحس هذا التفاؤل ، هذا المزاج الروحي لدى هؤلاء الناس الذين يدركون لوتهم ولكم اثر فينا السهب الذي نفخنا فيه الحياة ! كان كل شيء يتحرك ويتوارد الى هنا ، الى الخط الامامي كما يحدث قبل هجوم كبير . وان اي امرئ جاء في ذلك الوقت الى الاراضي البكر ، كان يعيش مصالحها واهتماماتها عفوا .

يقينا انه تواجد كذلك افراد رحلوا عن الاراضي البكر . فقد كان هناك افراد انانيون ، دفعتهم الصدفة الى هنا ، ذوو ادعاءات لا حد لها ، ولا يرغبون في حسبان الحساب لاي شيء ، وقد نعتوهم بدقة وصواب «بانذال الارض» عوضا عن «رواد الارض» !

واصطدمت ببعضهم في اول رحلة قمت بها الى ربوع كازاخستان الشمالية . كان ذلك في الربيع الباكر من عام ١٩٥٤ في محطة توبول الحديدية . ما كدت انزل من القطار حتى اندفع من الجمع فتى صاحب واقترب مني وشرع يهاجمني حقا وفعلا بالاسئلة الى اين جلبوهم ؟ لماذا جعلوهم يتركون اماكنهم ؟ اين المساكن ، اين الاجور العالية ، اين الملابس الدافئة ؟ في هذا السهب ، كما قال ، المراميط وحدها تستطيع ان تعيش في جحورها .

اصغيت بصبر ثم قلت اننا دعونا الناس الى هنا لكي يسكنوا في هذه الاراضي ويعمّروها ، ولكن الفتى لم يهدأ . ظل يعرض على سترته الخفيفة وطالب باعطائه في الحال سترة فرائية . كان واضحا انه ليس من اولئك الذين يمكن ايضاح شيء ما لهم— وامثاله يمكن فهم حقيقتهم في الحال—فقاطعته وسألت :

وانت هل جئت الى هنا لتأكل الفطائر الجاهزة ؟. علامَ عولت حينما وصلت الى هنا بهذه السترة وهذه القبعة ؟ الناس من امثالك لا تحتاج اليهم الاراضي البكر !

فقال مخففا نبرته :

— هكذا هو الحال دائما ، حين يطالب المرء بالمستحق ... فقاطعته من جديد :

— كلا ، يا عزيزي . مطالبك ستكون مشروعة بعد شهر ، بعد شهرين او ثلاثة ، ولكن بصورة نسبية . اما كونها مشروعة تماما فلن تصبح كذلك الا بعد سنة . وحتى ذاك ، يمكننا ان نتقدم منك بادعاءات ليست اقل من ادعاءاتك . لاي غرض جئت ؟ نحن كنا نقول عليك ؛ اما الآن ، فاننا مضطرون الى البحث بسرعة عن بديل . واننا سنجده بكل تأكيد .

ذلك الفتى كان ، بقدر ما اذكر ، من فريق مدينة شويا . ويقينا انه كان استثناء من القاعدة . فان شويا هذه قد ارسلت الينا كادحين ممتازين حقا اطلقوا على احد السوفخوزات في سهب تورغاي اسم «شويسكي» ؛ وهذا السوفخوز اصبح من خيرة السوفخوزات في الاراضي البكر المستصلحة .

لقد واجهنا المصاعب ، ولا داعي الى اخفاء ذلك . وان شعبنا قد ضحى بالكثير الكثير على امتداد عشرات من السنين البطولية ، من اجل المستقبل ، معانيا محنا مرهقة . وفي مختلف المراحل كان ينقصنا كل شيء حقا وفعلا — المسامير والكاز ، الاحذية والاقمشة ، المساكن والحبوب . وعلى الدوام كان الحزب يقول للشعب صراحة : المصاعب والنواقص سنذللها بالعمل العنيد المشترك ، وحياتنا ستتحسن تدريجيا اكثر فاكثر . وبالفعل ، كانت الحياة تتحسن سنة بعد سنة ، رغم ان البلاد كانت تتعرض للجديد تلو الجديد من المحن .

من المؤكد ان حال من كانت ظروفه المادية والمعيشية على غير ما يرام في هذه الحقبة او تلك من تاريخ بلادنا انما كان حالا صعبا ، بل كان احيانا مرهقا للغاية في هذا الوضع المعني . وبهذا المعنى كانت المصاعب من نصيب جميع اجيال السوفيتيين وما من شعب عانى من المحن قدر ما عانى شعبنا ولكن انظروا الى حياتنا اجمالا . فقد كانت دائما تصعد صعدا . وايا كانت العقبات ، فقد كنا دائما نذللها . وواقع اليوم يختلف عن واقع الماضي كما تختلف السفينة الكونية عن العربة الفلاحية .

واذا عدنا الى منغصات العيش التي واجهها الناس في الاراضي البكر في زمن استصلاحها ، فقد كانت بالفعل موقتة . ان محبي انفسهم ، ممن لا يرغبون حتى في تحريك اصابعهم من اجل القضية العامة ، هم وحدهم الذين لم يفهموا هذا . وعن هؤلاء يقول الشعب بدقة وصواب انهم لا في العير ولا في النفير .

اما حين كان يتواجد شبان ارتبكوا وحسب في الآونة الاولى ، فهذا شيء آخر . كان يكفي في هذه الحال ان نتحدث معهم ، ونشرح لهم ، ونقنعهم وحتى ان نلاطفهم بطريقة ابوية . اجل ، الملاطفة لقد تأتى لي آنذاك ان استعمل غالبا هذه الكلمة في تحدثي مع القادة المسؤولين . فان الشاب الذي لم يكتسب التجربة بعد ، يحتاج الى الصرامة ، ولكنه يحتاج الى التعطف ايضا . وفي ذلك الربيع من عام ١٩٥٤ ، رأيت في محطة جالتير بجوار تسيلينوغراد فتى مع حقيبة ، اراد ان يركب القطار ، سألته :

— هل تعتزم العودة ؟

— اجل .

— لماذا ؟ بسبب المصاعب ؟

— اجل ، لم اكن اعرف نفسي ، طبعي ، لم اكن اعرف انه سيتملكني حنين شديد الى الديار ، الى الانحاء المحبوبة . الطقس عندنا دافئ . من النافذة يظهر بحر آزوف . البساتين تزهر . اما هنا فالثلوج والعواصف الثلجية . والآن ، تهب رياح رهيبة ...

جلست قربه . وقلت :

— البداية شاقة دائما . ولكن هل تتصور كيف قاتل اترابك في الجبهة ؟ اشتد بهم ايضا الحنين الى الديار والى امهاتهم ، وعاشوا في الاكواخ الترابية ناهيك عن انهم شاركوا في الهجمات المميتة ... لا شيء يؤخذ بسهولة . انشاء بستان في اوكرانيا ليس بالامر الصعب ؛ اما هنا ، في هذا السهب ، فان البستان انتصار كبير . ولكن القرى ستظهر هنا بعد سنة او سنتين ، وستظهر كذلك البساتين الرئيسي ، هو انه يجب على المرء ان يؤمن في نفسه لا يجوز لك ان تبدأ حياتك بالتراجع !

لم يركب الفتى القطار ، كما اذكر . وسرعان ما رأيته في صندوق سيارة شاحنة . وانا لا اعرف اسم هذا الرجل الذي تجاوز الآن بالطبع عهد الشباب ولكني اعتقد انه من عداد اولئك الذين ربطوا مصيرهم بهذه السهوب .

في تلك الايام ، كتبت احدى الجرائد البرجوازية : «لا يمكن للمرء ان يعيش في ظروف الاراضي البكر الفظيعة . ولهذا يمكن الاطمئنان : فان الاراضي البكر ستبقى قطعة غير مهضومة في معدة روسيا» .

كم وكم من التنبؤات اللاذعة كهذه ارتفعت آنذاك ! ولكن حقول القمح اللامتناهية كانت تلمع خضراء في السهب بعد مرور ثلاثة اشهر فقط على وصول اولى قطارات المتطوعين . وقد ازدادت المساحات المزروعة في الجمهورية ١٠٠٪ ، وبلغت في العام المعني ذاته ٢٠ مليون هكتار . واذا كنا ، كما كتب اخصامنا «غير مهيئين» لاستصلاح الاراضي البكر ، فمن ذا الذي حرث هذه الاراضي وبذر فيها ؟ من ذا الذي اعطانا في ذلك العام اكثر من ٢٢ الف جرار جديد واكثر من ١٠ آلاف حاصدة دارسة جديدة ؟ من ذا الذي ارسل الينا آلاف القطارات الموسوقة بالبيوت والاخشاب والاسمنت ومختلف البضائع والمؤن ؟ كلا . كان ذلك هجوما مدروسا جيدا ، هجوما مهيئا . والقلعة المزمنة المسماة «بالاراضي البكر» استولينا عليها ، ليس عن طريق حصار طويل الامد بل على جناح السرعة ! عن طريق حملة عارمة ، بهجمة بطولية .

قد يسأل سائل : ولكن اذا كان الناس قد هبوا الى السهب مسلحين بالتكنيك الجبار ، وشاعرين بمساندة البلاد كلها والشعب كله لهم ، واذا كانوا هدفا للتغني بهم آنذاك بالذات ، وبدأوا ، منذ الخطوة الاولى كما يقال ، يقطفون ثمار مجدهم الذي يحسد عليه ، أفليست ثمة مبالغة في تقييم كل ما يعنيه مفهوم «مستصلح الاراضي البكر» ؟ كلا ، ليس ثمة مبالغة . فان هؤلاء الناس قد اجترحوا بالفعل مأثرة .

ان للبطولة مظاهر مختلفة . فرب امرئ يندفع الى بيت محترق ، مجازفا بحياته ، ولكنه يعجز عن القيام يوما بعد يوم بعمل رتيب ما . هناك بطولة اللحظة ، وهناك بطولة المراحل الشاقة في حياة الشعب بأسره ومن الامثلة على ذلك ، الحرب . وثمة بطولة الحياة اليومية ، حين يحكم الناس على انفسهم عن وعي وطوعا واختيارا ، بتحمل المشاق والحرمانات ، مع علمهم بانها قد لا تواجههم في مكان آخر . اني اعتقد ان مستصلحي الاراضي البكر برهنوا انهم ابطال . لقد صمدوا لجميع مصاعب معيشة الحقبة الاولى وعملوا خلال سنوات بصبر وصلابة على تعمير هذه الارض غير اللطيفة اطلاقا .

في ايام الاحتفال بالذكرى السنوية العشرين للزحف على الاراضي البكر تحدثت في ألما-آتا عن رجل مدهش هو ايفان ايفانوفيتش ايفانوف ، ولد في لينينغراد ، ودافع عن مدينته في زمن الحرب واصيب بجراح خطيرة ، وفقد رجليه . بعد علاج مديد ، جاء الى كازاخستان ، وبقي فيها ، وتقارب مع هذه المنطقة ، وصار سائق جرار ممتازا ! والى مكافآته الحربية ، اضيفت مكافآت لقاء العمل—وساما لينين ونجمة البطل الذهبية .

وصفقت القاعة كلها للبطل ، وصفقت له انا ايضا من المنبر ، ثم تكلم خطباء آخرون ! وردد احدهم القصة ذاتها ، كما خيل الي . فقد تكلم هو ايضا عن شيوعي لينينغرادي ، محارب فقد رجليه وجاء الى الاراضي البكر واصبح سائق جرار ، واستحق لقب بطل العمل الاشتراكي . اما اسمه فهو ليونيد ميخايلوفيتش كارتاوزوف ... ومن جديد صفق الجميع ، وخطرت فكرة في بالي ! هل هذه مصادفة ، يا ترى ؟ ام اني اخطأت في اسم البطل ؟ ولكن ، كلا ، لا يمكن ، فانا اتذكره جيدا .

في فترة الانقطاع ، سألت عن كارتاووزوف وتبين لي انه لم يقع اي خطأ . يشتغل في الاراضي البكر المستصلحة كل من كارتاووزوف وايفانوف ومصيراهما متشابهان ، وكلاهما بطل . وقد اقول ان هذه المصادفة كبيرة الدلالة . وليس عبثا اصبحت كلمة «تسيلينيك» في بلادنا رمزا للرجولة والشجاعة .

لقد اقتنعت غير مرة طوال حياتي بان الابطال الحقيقيين هم في الاوضاع العادية اشخاص متواضعون لا يستلفتون النظر كثيرا ، كقاعدة . وهم يقومون بعملهم بهدوء واجتهاد . هكذا كان دانييل نستيرنكو ، سواق الجرار في سوفخوز «دالني» بمقاطعة تسيلينوغراد . ان اسم السوفخوز («دالني»—«البعيد») هو اسم يطابق المسمى : فهو يقع في ابعد بقعة من المقاطعة . وقد ابدى نستيرنكو رغبته في العمل فيه بالذات . كان الشتاء الوفير الثلوج يوشك ان ينتهي ؛ وكان هناك خطر ان تصبح فرقة سواقي الجرارات التي يشتغل فيها معزولة عن ضيعة السوفخوز المركزية وبدون احتياطي من الوقود اذ ان نهير جانيسبايكا كان يهدد ، على حد قول السكان القدماء ، بفيضان عارم وواسع النطاق فكان لا بد من نقل الجرارات على جناح السرعة عبر النهر ما دام الجليد الذي يكسوه لم يتحطم بعد ساعد نستيرنكو الرفاق على القيام بهذه العملية المحفوفة بالمخاطر ثم ساق جراره هو الاخير . ولكن الجليد الذي كان بسبيل الذوبان وقد غطاه الماء لم يصمد ...

عندما انتشل الرفاق جثته الهامدة من الماء عثروا في جيبه على شهادة بطل الاتحاد السوفيتي وقبل ذلك ، لم يكن احد في السوفخوز على علم بان هذا الرجل الذي يشتغل الى جانبهم هو بطل الاتحاد السوفيتي . وفيما بعد اصبح معروفا ان دانييل يوتابوفيتش نستيرنكو كان قد استحق هذا اللقب اثناء الحرب الوطنية العظمى في المعارك لدى عبور نهر الدنيبر . فتضاعف الاسف على خسارته . اني اتذكر الدنيبر ، اتذكر ابطال هذا العبور تحت وابل النيران الفتاكة . ولعلنا نقول : ما اتفه هذه العقبة التي يشكلها نهير سهبي بالنسبة لمثل هذا الرجل المجرب ؟! الا انه يحدث في الحياة مثل هذه المصادفات الفاجعة !

ولقد هزني على الاخص الامر التالي : في خيمة نستيرنكو وجد الاصدقاء شتلات من الكرز الاوكراني وهذا يعني انه جاء الى كازاخستان للاقامة زمنا طويلا اذا كان قد جلبها معه لكي يغرسها في السهب ولكن بدونه نمت اشجار الكرز هذه .

كان شتاء ١٩٥٤ قاسيا ، وفير الثلوج ، باردا جدا . واخذت الاراضي البكر تمتحن القادمين الجدد بلا ابطاء ، على الفور ، عارضة عليهم شكاستها . كانت الرياح النافذة تهب بلا انقطاع ، وكانت كل رحلة في السهب خارقة الصعوبة ، واحيانا محفوفة بالمخاطر . ولكن كان ينبغي لآلاف الجرارات والمئات من قوافل العربات التي تجرها السيارات ان تشق طريقها الى اماكن السوفخوزات غير الموجودة بعد ، عبر ارض خالية من الطرق ، وعبر الرياح والثلوج .

ان الكثيرين منذ طفولتهم يتصورون الزوبعة الثلجية في السهب كما وصفها بوشكين في روايته «ابنة الآمر» . وتأتى لي ايضا ان ارى مبلغ تقلب اهواء السهب . فتارة يمكن ان تنبسط فوقه من الافق الى الافق السماء الصقيعية الزرقاء وان تشع الشمس الساطعة . ولكن بعد نصف ساعة ، تختفي الدنيا وتهب العاصفة الثلجية ، وتلف وتدور ، وتصفر وتولول . يكفي خطأ طفيف ، صدفة ، تعطل المحرك فجاة ، حتى يبقى المرء وحده مع السهب وجها لوجه—بدون طرق ، في الصقيع ، في ظلام دامس .

اذكر كيف هزنا جميعا في الاراضي البكر مصرع الطالب بالمراسلة في معهد البناء بمدينة لفوف فاسيلي راغوزوف . كان من اوائل الذين جاؤوا الى سوفخوز «كييفسكي» واخذ يشتغل مسيرا لأعمال البناء . ولكونه منظما قديرا ، ورفيقا طيبا ، وانسانا مرحا ومحبا للمعاشرة سرعان ما كسب السمعة الطيبة ، ولقي الاحترام والحب بين رواد استصلاح الاراضي البكر . وفي احد ايام الصحو كان راغوزوف في قوام قافلة ، ينقل من المحطة الحديدية بيوتا مجمعة لاجل اول شارع في السوفخوز . وفجاة هبت عاصفة ثلجية خارقة القوة ، دامت بضعة ايام توقفت القافلة . وقرر فاسيلي ان يذهب طلبا للمساعدة . راح وحده ، وضل السبيل ولقي مصرعه كان شخصا شجاعا ، قوي الارادة . اليكم الرسالة التي كانت في جيبه :

«الى من يعثر على هذه المفكرة ! ايها الرفيق العزيز ، اعمل معروفا ، ارسل المكتوب هنا الى مدينة لفوف ، شارع غونتشاروف ، رقم ١٥ ، الشقة رقم ١ ، راغوزوفا سيرافيما فاسيلييفنا .

عزيزتي سيرافيما ! لا داعي للدموع . اعرف ان حالك سيكون صعبا . ولكن ما العمل اذا كان حدث لي هذا . السهب حولي ، بلا نهاية ولا طرف . امشي على غير هدى . العاصفة توشك ان تنتهي ، ولكن الافق لا يظهر لكي استهدي . اذا مت ، فربّي الابنين بحيث يكونا رفيعي الخصال . آه ، الحياة ، لكم ارغب في الحياة ! اقبلك بشدة . المخلص لك الى الابد فاسيلي» .

وحين ادرك انه هالك لا محالة ، اضاف تذييلا كتبه باصابع متخدرة من البرد ، متجمدة :

«الى ابنيّ فلاديمير والكسندر راغوزوف . يا ابنيّ العزيزين فلاديمير والكسندر ! لقد رحت الى الاراضي البكر لكي يعيش شعبنا حياة اغنى واجمل واريد ان تواصلا عملي . الاهم هو ان يكون المرء في الحياة انسانا حقيقيا . اقبلكما ، يا عزيزيّ بشدة ، والدكما» .

هذه الرسالة الشخصية الصرف ، على ما يبدو كانت معنونة الى الاسرة . ولكنها صارت رسالة الى جميع الاحياء . وعندما عرضوا عليّ اوراقا باحرف غير واضحة ، وعندما قرأت المكتوب ، شعرت بغصة في حلقي . تلفنت للصحفيين ونصحتهم بنشر هذه الرسالة بعد الحصول على موافقة الزوجة . استثارت الرسالة ، بعد نشرها في الجرائد ، عشرات الآلاف من الاصداء في شتى انحاء البلاد . وانطلقت فصائل جديدة من المتطوعين الى الاراضي البكر ، لكي تسير الى النهاية بالقضية التي بداها فاسيلي راغوزوف وامثاله من الشجعان . والآن يحمل المرتفع الذي لقي فاسيلي مصرعه بجواره اسمه .

ان خريطة كازاخستان الحالية تدل على ان بلادنا بأسرها شاركت في استصلاح الاراضي البكر . فان جغرافية بلادنا تنعكس في اسماء السوفخوزات بالذات المشتقة من اسماء المدن : «موسكوفسكي» «لينينغرادسكي» ، «مينسكي» ، «كييفسكي» «دنيبروبتروفسكي» ، «ارمافيرسكي»، «بولتافسكي» «تاغيلسكي» ، «سوتشينسكي» ، «برمسكي» «ياروسلافسكي» «فورونيجسكي» ... وفضلا عن الكازاخ ، سكان السهب الاصليين ، كانت تقع العين في كثير من الاستثمارات على ابناء قوميات مختلفة واصبحت الاراضي البكر مدرسة حقيقية للتربية الاممية ومجمعا للتجربة الحكيمة ومهارات العمل لممثلي جميع شعوبنا وعزمهم على احراز النصر !

الاراضي الجديدة يسكنها ويعمّرها دائما اناس جدد . ولكن هذه المرة كانت هناك خاصية . لقد قطعنا شوطا كبيرا منذ زمن الخطط الخمسية الاولى عندما كان المتطوعون يصلون الى ورشات بناء مجمع ماغنيتوغورسك التعديني او سكة الحديد تركستان— سيبيريا او محطة الدنيبر الكهربائية او مدينة كومسومولسك على نهر آمور ، حاملين المنشار والرفش . فقد تطلب استصلاح الاراضي البكر في المقام الاول سواقي الجرارات ، والكهربائيين وسواقي السيارات والميكانيكيين ، والبناة . وامثال هؤلاء الاختصاصيين الاكفاء جرى ارسالهم الينا من الكثير من الجمهوريات والاقاليم والمقاطعات فاصبحوا بمثابة هيكل عظمي للاستثمارات الجديدة .

كان الناس يزرعون الحبوب في الارض وكانت الارض تربي الناس . ومجازا نقول ان الاراضي البكر اعطت «غلة» وفيرة للغاية من الكادحين ، الوطنيين ، الاساطين في عملهم . ولكن هؤلاء ، اذ توافدوا عليها من شتى انحاء الاتحاد السوفيتي مع خصائصهم وطبائعهم وخبراتهم واهوائهم ، لم يتكونوا وينتظموا من تلقاء انفسهم في جماعات متكاملة متراصة . وهنا لا بدّ من التحدث ، وان بايجاز ، عن طرائق العمل الحزبي والتنظيمي والايديولوجي التي تعين علينا البحث عنها . ان نشاط الحزب في الاراضي البكر كان كله فعالا في ملحمة هائلة تجديدية وبارزة من حيث نتائجها .

كان الجو الذي جرى فيه هذا النشاط يشبه اكثر ما يشبه ، جو العمل السياسي في ايام عملية هجومية كبيرة . اما فيما يخصني انا شخصيا ، فقد تلخصت هذه الاشهر الاولى في اسفار لا نهاية لها وفي مئات من اللقاءات ، والتعرفات الخاطفة بحيث كان من المتعذر صرف الناس لزمن طويل عن عملهم ولم يكن يتوفر لي ايضا الوقت لانه كان ينبغي دائما مواصلة السفر الى مكان آخر ، ولان «الخط الامامي» كان يستهويني دائما. كنت اريد ان ازور جميع الانحاء وان اتواجد في عشرات الاماكن في آن واحد ، الامر الذي كان مستحيلا بالطبع ، ولكنه تحقق مع ذلك لسبب ما ؛ وكان جوهر العمل الحزبي السياسي يتلخص آنذاك في رص جمهور لجب من الناس وتسليحهم ببرنامج ملموس من الاعمال ، وادراك واضح للهدف المشترك .

اذكر اني كنت اردد على مسامع امناء المنظمات الحزبية الشيء نفسه في السيارة ، وفي المشي في السهب ، وليلا في الخيام ، ومساء قرب المواقد كنت اقول تقريبا ما يلي : عليهم ان يستغلوا اكثر ما يمكن من السوانح ليعقدوا اجتماعات للشيوعيين فلا بد للشيوعيين ، قبل كل شيء ، ان يتعارفوا ويعرفوا قدر بعضهم بعضا ويتبادلوا الآراء في الوضع واذ ذاك سيقود هؤلاء الشيوعيون الناس وراءهم .

وكان محادثيّ يعترضون قائلين :

— لا مكان لعقد الاجتماعات الحزبية .

وكنت الحّ :

— ولكن هذا ضروري .

وكان بعضهم يقولون :

— انهم يبالغون في الانتقاد : هذا غير موجود ذاك لم يجلبوه ... انت تعرف ما هو عليه الحال في البداية .

وكنت اجيب :

— لا بأس . اذا لزمنا الصمت ، فلن تتحسن الامور اما اذا اجتمع الناس وتجادلوا ، وعرضوا كل شيء على المكشوف ، فانك ترى انهم اوصوا بالحل والمخرج . وفي اجتماع آخر ، ستعرضون عليهم ما تحقق . الناس توافدوا من شتى الانحاء وهم مختلفون—وهذه هي عقدة العقد . ولكن هناك عامل ايجابي هو المهمة الصعبة والشيقة المطروحة امامهم تكشف بسرعة صفات المرء في سياق ادائها .

ولقد انصبت جميع الجهود في الربيع الاول على تعبئة وتشغيل آلة هائلة ، ولهذا لم يبق ثمة وقت للتوقف والاستراحة .

ثم حل موسم الحصاد وتدفقت الغلال الوفيرة ، من الاراضي المستصلحة ، تلك الغلال التي شددنا تشوقنا اليها ولكنها باغتتنا مع ذلك بمجيئها .

— ٦ —

لن انسى يوما الخريف الاول في الاراضي البكر المستصلحة ، في عام ١٩٥٤ . في احد سوفخوزات ناحية روزايفكا ، بمقاطعة كوكتشيتاف ، قدموا لي عند لقائي ، حزمة من سنابل القمح من صنف «اكمولينكا» المجنية في الاراضي المستصلحة . وانه ليستحيل عليّ ان اعرب عن المشاعر التي تملكتني وانا امسك في يدي هذه الحزمة . في تلك الدقيقة تذكرت امورا كثيرة—اولى الخطط والمشاريع وليالي الارق ، المجادلات ، القطارات التي يصل بها الناس قوافل الجرارات التي تشق طريقها في الاراضي الخالية من الطرق عبر العواصف الثلجية ، المواقد الاولى في السهب ، الاتلام الاولى ، وها هو ذا امام عيوننا الحلم المنشود المتحقق—السهب المكسو من الافق الى الافق بالقمح الاصفر ... تذكرت الرعيل الاول من رواد استصلاح الاراضي البكر الذين اسسوا الكومونات الزراعية في هذه الانحاء بعد الثورة بفترة وجيزة . وكان لينين ، وهو يودع عمال مصنعي اوبوخوفسكي وتسيميانيكولسكي ممن قرروا الرعيل الى كازاخستان قد كتب في رسالة ارسلها الى مفوض الشعب للزراعة : «انها لمبادرة رائعة فادعمها بجميع الوسائل» .

كانت لاول الكومونات في السهب الواقعة على ضفتي ايشيم اسماء سارة : «شعاع الثورة» ، «لون الحقيقة» ، «سبيل الحياة الجديدة» . ولكن كم كانت ضئيلة جعبة الوسائل المتوفرة لدى هذه المقامات الصغيرة في الاراضي البكر ! فان كومونة «شعاع الثورة» ، مثلا ، كانت تملك اربعة ثيران ، واحدى عشرة بقرة ، وحصادة واحدة ، ومخضنة واحدة واربع معالف ، وثماني عربات ، واربعة بيوت سكنية وسقيفة . واي قدر من الارادة والايمان في النصر كان لا بد ان يتحلى به المرء لكي يقول آنذاك : «ستخضع لنا ، يا سهب ! ستصبح معيلنا !» ، وها هو ذا اوقيانوس من سنابل القمح ينبسط الآن في السهب بدلا من حقول صغيرة ؛ ان السهب المعشوشب الغريق في القدم اخذ يصبح الآن بمثابة هري كبير للدولة ، وكانت تلك اول نتيجة لاول سنة من الحصاد في الاراضي البكر المفلوحة .

كان اوقيانوس القمح قد غمر السهب ، وكانت سنابله القليلة التي لوّنتها الشمس بلون الذهب تتموج بفعل الريح ، وكان مزاج الجميع رائعا . ولكن كم وكم من الجهد كان يترتب بذلــه لاجل حصاد الغلال الوفيرة والحفاظ عليها !

والآن تقوم في الاراضي البكر المستصلحة في كازاخستان شبكة واسعة من صوامع الحبـــوب ومستودعاتها الضخمة . اما آنذاك ، فلم تكن سعة كل الصوامع والمستودعـــات المتوفرة تربو على ثلاثة ملايين طن بما فيها المستودعـــات الصغيرة الضعيفة التجهيز وشتى الاخصاص الطينيـــة التي سماها المستصلحون في ذلك الخريف «ببيـــوت الكلاب» . كان ينبغي حصاد الحبوب ، وحفظهـــا ونقلها مهما كلف الامر . وكان الوضع صعبا بخاصة على الطرق وفي المحطات الحديديـــة وفي مراكز مناقلات الحبوب .

وبودي لو اقص واقعة واحدة على الاقل من تلك الايام . هذه المرة طرت الى اتباسار مع نيقولاي ايفانوفيتش جورين ، الامين الاول للجنة الحزب في مقاطعة تسيلينوغراد . وفي المطـــار بالذات اخذ المستقبلون يدعوننا الى السوفخـــوزات والى الحقول لكي يفرحونا بالمحاصيل ، كما قالوا . كانت هذه الدعوات ملحة جدا ، ولكن احدا لم ينبس ببنت شفة عن الحال في المركز المحلي لتخزيـــن الحبوب . وبالطبع قررنا ان نبدأ منـــــه بالذات فقال احدهم محذرا :

— لا داعي لكما الذهاب الى هناك . فالسواقون سيمزقونكما ، وحق الرب ! السيـــارات ازدحمت هناك ازدحاما ، وكل منها تنتظر يومين للتفريغ .

وقلت :

— معليش ، هذا ليس باسوأ ما في الامر . فقد كنا في محطة كولوتون الحديدية ؛ وهناك بالفعل مصيبة : الحبوب بوفرة ، ولكن السيارات لا تكفي.

ورحنا الى المركز الواقع على بعد كيلومتر تقريبا من السكة الحديدية . كان الطقس خريفيا صحوا في السهب المكسو بالعشب الاصفر الكالح ، الممتد من طرف المدينة ، ازدحمت مئات السيارات المحملة بالحبوب . وكان طابورها يمتد اكثر من كيلومتر وكان مركز التخزين نفسه اشبه بوكر للنمل زاحم الحركة . وفي سحب الغبار كان يدوّي هدير وازيز سيارات الشحن السائرة بصعوبة عبر هذا الازدحام نحو وسط الحوش ، نحو تلال من الحبوب . وعلى مقربة من هذا المكان كان يتعالى ضجيج ورشـــة البناء حيث كان يجري تشييد صومعة جديدة للحبوب كانت الصومعة القديمة ، الصغيرة معبأة بالحبوب كليـــا . وكان هناك مئات من الناس بلا عمـــل الا نحو عشرين امراة كن يعبئن الحبوب بالرفوش في الاكياس ، وكان الحمّالون يحملون الاكياس الى السقائف الطينية الواطئة المخصصة لحفظ حبوب البذر . وكان يجري تفريغ السيارات بالايدي فقط وفي مكانين او ثلاثة فقط .

اقتربت من احدى السيارات واخذت منها حفنة من الحبات . كانت هذه الحبات الناضجة الثقيلـــة الضاربة لونها الى الذهب ، الواقعة على راحتي تبعث على الانشراح . فما اروع هذا القمح !

وفي الحال تحلق السواقون حولنـــا فتعالت ضوضاء لا توصف . كان السواقون يصيحـــون قائلين انهم ينتظرون تفريغ سياراتهم اياما بكاملها وينامون في مقاصير السيارات ، وانه ليس ثمة مطعم او مقهى ياكلون فيه ، وليس ثمـــة مكان يغتسلون فيه من الغبار . ولكن مهما كان هذا مهما ، فان الاهم هو ان جبالا من الحبوب قـــد تراكمت في السهب ، في الهـــواء الطلق ، وان الحبوب ستتلف ! تركتهم يستكملون كلامهم ، ثم قلت :

— ما احسن ما تستقبلون الضيوف ...

لا اعرف ما الذي اثّر في السواقين—الهدوء ام الابتسامة ، ولكن لزم السواقون الصمت ؛ وبالفعل هاجموا شخصا في حين انه كان يجب الاستماع الى رأيه .

فواصلت كلامي غير عارف بعد ما سافعله :

— لا تقلقوا ، يا رفاق ، سنجد حلا ما . اعدكم باننا سنقضي على هذه الضائقة .

لقد وعدت بحل المشكلة ، ولكن ما عسانا ان نفعل ؟ طفنا في ارض مركز التخزين ، وشاهدنا الصومعة الجاري بناؤها ، وتبين لنا انه لا يمكن انجازها قبل الخريف القادم ، والقينـــا نظرة الى «بيوت الكلاب» . واثناء التطواف ، كنت القي النظر بين الفينة والفينة الى بقعة شاسعة تقع بين مركز التخزين والمحطة الحديدية ، الى ما يسمى بشقة الحرام المخصصة للسكة الحديدية . كانت هذه البقعة تطمرها شتى النفايات—الحدائد العتيقـــة الصدئة ، انقاض الخرسانة المسلحـــة ، الزبالة . وكل هذا كان يطل بفوضى لا توصف من الحشائش الطفيلية الجافة الصفراء المكسوة بطبقة من الغبار المتراكم منذ سنوات .

— لمن هذه الارض ؟

— للسكة الحديدية .

طلبت دعوة رئيس فرع السكة . جاء بسرعـــة وعرّف نفســـه : برمينوف بايزاك برمينوفيتش وتبين انه رجل فهيم ، عمل ، واختصاصي قديـــر ناهيك عن انه يحب النكتة ، اذ انه اضاف :

— ارجو ان لا تشوه اسمي . فان كثيرين لا يتفهموه بالسمع ويسمونني بلزاك . ولكني لست كاتبا ، بل مهندس في السكك الحديدية ، ولست فرنسيا ، بل كازاخي بحت .

كانت المسالة التي يتعين حلها مسالة معقدة ! فطلبت ايجاد احـــد من قدماء الاختصاصيين في تخزين الحبوب . فقال برمينوف :

— لا داعي الى البحث . ها هو ذا الى جانبنـــا سيمنكوف نيكانور غيورغييفيتش . انه يبني الآن صومعة جديدة ، وكان من قبل رئيس مصلحـــة تخزين الحبوب في المقاطعة . انه بروفســـور في هذا المضمار .

جلسنا فريقا صغيرا عند طرف البقعة المهملة كنت اعرف جيدا قادة الناحية ، ولكن رئيس مركز التخزين ، وكنيته بوفليانكو ، كان جديدا علي تبادلت معه بعض الكلمات ، وعلمت انه قاتل في زمن الحرب ، وكان بحارا . ولكني طرحت السؤال الاول على مهندس السكة الحديدية :

— كم يوما ينبغي لتطهير هذه البقعة ، ومد خط حديدي اليها ؟

سجل برمينوف شيئا ما في المفكرة وقال :

— يوم للتطهير ، يومان لمد القضبان .

— قليلا تطلب . سنعتبر ان المطلوب خمسة ايام ... اي قدر من الحبوب ستعطي الناحية ؟

اجاب جورين :

— الحبوب تاتي الى هنا من اكثر من ناحيـــة واحدة . المحصول يضغط ، فتجلب ناحية ايسيل وناحية بلكاشينو وناحية كورغالدجينو حبوبها الى هنا . خلاصة القول انه يتاتى لمحطة اتباسار ان تستقبل وترسل ثلاثة ملايين بود . هذا على اقل تقدير .

— مفهوم ...—ثم توجهـــت الى اختصـــاصي التخزين :—هل نتمكن من تمرير كل الحبوب عبر هذه البقعة ؟

اجاب :

— على كل حال ممكن . ولكن تطهير البقعـــة لا يكفي وحده . ان هذا سيكون انتهاكا للتعليمات ناهيك عن انه من سوء التدبير .

— وماذا يجب فعله ؟

— الفلاحة ، والحدل ، والردس . كذلك يجب التعقيم من كل بدّ . واذا تقيدنا بالقواعد ، فاحسب عشرة ايام تقريبا .

— نيكانور غيورغييفيتش ، عندك خبرة هائلة او ليست ثمة ، يا ترى ، اساليب اخرى ؟

فقال سيمنكوف :

— تاتي لي في حياتي ايجاد المخرج من شتى الورطات . كيف لا ؟ يمكن حرق البقعـــة . جلب القش والحرق كليا وتماما . وستتسخن التربة ثم تصبح صلبة مثل ارضية الفرن .

— والتعقيم ؟

— النار تعقم وتطهر كل شيء .

— ها هو ذا المخرج !

وسكتنا . كان يخيل ان كل شيء قد قيل . ولكن رئيس مركز التخزين تدخل في الحديث وقال :

— كلا ، يا ليونيد ايليتش ، لست موافقا . فاي فرق اين ستكون الحبوب ؟ في السهب ، تتكوم في الهواء الطلق ، وعندي في الهواء الطلق ايضا من المستحيل خياطة غطاء من القماش الخشن لاجل هذه التلال من الحبوب ولو عكفت الناحية كلها على ذلك . وستتلف الحبوب !

— سنمدكم بالعربات الحديدية كفاية . وهذا الامر آخذه على عاتقي .

— وهذا—واشار بيده الى السماء—تاخذه ايضا على عاتقك ؟

كان القيظ في ذلك الخريف منهكا ؛ وكانت الشمس كأنما تبقى معلقة في السماء بلا حركة ! وكانت السماء خالية من الغيوم ، وكانت التنبؤات الجوية تبشر بالخير . ولكن من ذا الذي كان بوسعه ان يتعهد بان الامطار لن تنهمر ؟

قال بوفليانكو :

— انت تعرف انه ممنوع قطعا حفظ الحبوب في ساحة مكشوفة . انا لا استطيع ان آخذ على عاتقي مثل هذه المسؤولية .

كان من السهل للغاية اتهامه بمراعاة الشكليات بالاحتراس الزائد . ولكن هذا الرجل العبـــوس اعجبني . يؤكد بعضهم بلا ابطاء : «حقا انفذ !» ومن ثم لا يحرك ساكنـــا للوفـــاء بوعده . (ومن رفيق من امثال هؤلاء كان يؤكد دائما : «سافعل !» ساحكي فيما بعد .) والحال ، كان على بوفليانكو ان يستقبل جبالا من الحبوب ، وكان عليه شخصيا ان يتحمل مسؤوليتها . وكانت علائم القلق بادية عند رفاق آخرين ايضا ، فكانهم كانوا يقولون في انفسهم : ما احسن احوالكم—امرتم ورحتم ! اما نحن فاية هموم ومشاكل على رؤوسنا ؟ الطقس يستحيل التحكم بـــه ، القطارات ليست تحت امرنا ، ثـــم هل تاتي هذه القطارات ؟

قلت :

— حسنا . هيا بنا نقلب النظـــر في الامـــر ابقاء الحبوب في الاماكن النائية يعني تركها تتلف بالتاكيد . فلا وجود للمستودعات هناك . وحين يحل فصل اوحال الخريف وبعده فصل الصقيع لن يكون بوسعنا ان نستجلبها من هذه الاماكن الى هنا . وتضييع هذه الملايين من البودات ، ونقوض الايمان في جدوى استصـــلاح الاراضي البكـــر وسيقول لنا الناس : انتم ثرثارون ، لا قـــادة ! وسيكونون على حق . اما هنا فسكة حديد ومحطة وقطارات ، وهنا آلاف الناس سيهبون عند الاقتضاء الى نجدتنا وانقاذ الحبوب . وسنرسل الى هنـــا عند الاقتضاء ، الجنود والطلاب والعمال فسيقومون بتهويتها ويشحنونها ويساعدوننا . او لا ترى ، يا ايفان غريغوريفيتش ، اين من الافضل ان تكون الحبوب—في السهب ام في المدينة ؟

فقال بوفليانكو :

— الجميع سيساعدون ؛ ولكن احال وحدي الى المحاكمة .

اصبح من الواضح ان الرفيق لم يصدق كلامي ولم يصدق انه سيلقى عونا فعليـــا . ومع ذلك لم اشا ان اجرحه في كرامته ؛ ولكنه كان ينبغي الضرب على وترانفته ، فقلت :

— فيما مضى كانوا يقولون : ان المرء في ساحة الوغى ، كما هو في البيدر . وما بك ، في الجبهة لم ترتبك ، وهنا ؟ في زمن السلم ايضـــا ياتي احيانا الصياح : «الى الامام !» . وفي آخر المطاف بوسعنا ان نحاسبك عن هذا : او لم تكن تعرف ان محصول الحبوب في الاراضي البكر المستصلحة سيكون كبيرا ، فلماذا اذن لم تستعد لذلك خلال نصف سنة ، ولم تفعـــل حتى ما في طاقتك ان تفعله ؟ لا باس . لنفترض اننا ايضـــا مذنبون واننا نتقاسم معك الخطيئة مناصفة . ولكننـــا سنحاسبك عن هذه البقعة حسابا ، بل حسابـــا صارما ! اتخذ التدابير لكي تذهب كل الحبوب من آخرها من هنا الى الصوامع ، حيث يتمكنون من تهوية الحبوب وحفظها . سيحاسبوننا معا نحن وانت على هذه الحبوب الفائقة القيمة .

وانتهى الحوار بالتزامات متبادلة . وقد قـــال ايفان غريغوريفيتش ، بنفس التجهم والعبـــوس وبدون كلمات ووعود مدوية انه سيفعل كل ما في وسعه . كان يمكن تصديقه . لان عناد هذا الرجل في التمسك برأيه حملني . بل حملنا جميعا— وحقا وصدقا اقول—على ان نفهم اهميـــة الخطوة المقرر اتخاذها ، وعلى ان نزنها مرة اخرى بصورة معمقة ونمعن الفكر فيها . وانا وعدت بدوري بان «اولي هذه المحطة اشد اهتمامي .

قد يقول احدهم ان كل هذا ليس من شان امين اللجنة المركزية في جمهورية بمثل هذا الاتساع ! فابعاد الامر ، كما يقال ، لا تليق به . بل ان بعض الرفاق اعتبروا آنذاك ايضا انه من المشكوك فيه ان يليق بي ان اتدخل شخصيا في صغائر الامور ومنها ، مثلا ، القاء نظرة الى قزانات المطابخ في فرق العاملين في الاراضي البكر . الا يقلل هذا من مسؤولية القادة المحليين ؟ اقول ردا على هذا انه ما من شيء—لا الاوراق ولا التلفونات—يحل محل اللقاءات مع الناس ومعرفة الحياة . ومن المؤسف انه تاتى لي غير مرة الاقتناع بان التقارير من كل شاكلة وطراز تتشوه في طريقها عبر الهيئات من اسفل الى اعلى ، علما بانها تتشوه دائما في اتجاه واحد ، في اتجاه التخفيف من حدة الامور ، في اتجاه تلطيف الزوايا الحادة .

ان القيادة «المكتبية» وحدها لا تكفي ! فلا بدّ كذلك من معاشرة الشعب ، والذهاب الى المحـــال والاطلاع مباشرة على النجاحات والمصاعب ، ولمسها لمس اليد ، والتدخل بسرعة عند الاقتضاء . واذا تجادل القائد مع الناس في محطة حديدية في السهب وجلس مع سواقي الجرارات الى مائدة فرقتهم ، فانه يفهم الكثير الكثير ، ويتعلم الكثير الكثير . والواقع ان التعلم نافع دائما ، بل انه ضروري تماما حين تبدأ للتو عمليات كبيرة كاستصلاح الاراضي البكر.

وفضلا عن ذلك ، لا تبقى الحالات كالتي تحدثت عنها مجرد وقائع عابرة . فلا يندر ان تؤدي الى تعميمات كبيرة . وعندما عدت الى الما—آطـــا طرحت مسالة تخزين الحبوب على بســـاط البحث امام مكتب اللجنة المركزية ، وتم اتخـــاذ القرار المناسب . واتصلت بنائب وزير سكك الحديد في الاتحاد السوفيتي غوندوبين ، وحدثته عن حدّة المشكلـــــة . وفي ذلك الحين ، كان يمكث طوال الوقت كله تقريبا في منطقة الاراضي البكر مترلسا من حيث جوهر الامر ، المركـــز الرئيسي لتخطيط وترتيب سير القطارات الواقـــع في تسيلينوغراد وكان يتتبع ليل نهار حركـــة المشحونات ودورة العربات ، وكان يلبي طلباتنا بما يكفي من السرعة اذن ، يمكن الاعتبار انه كان لهذه الواقعة «الطفيفة» صدى في عموم الاراضي البكر .

واعود الى واقعة اتباسار . كان القيظ في ذلك العام مرهقا . بعد زيارة مركز التخزين ، اقترح احدهم ان نذهب جميعا لنستحم في النهر . ولكن الحديث على الضفة دار من جديد حول الاعمـــال فقلت لقادة الناحية :

— رغم المصاعب الكبيرة ، بوسع ناحيتكم ان تصبح من النواحي الطليعية من حيث تسليم الحبوب ولهذا الغرض تتوفر جميع الامكانيات .

كنت اتتبع دائما سير الامور في مركز تخزين الحبوب في اتباسار . واضطررت الى ان اطلب من وزير التخزين في الجمهورية ان يذهب بسرعة الى اتباسار لاجل تقديم العون العملي . وكنت غالبا ما اتلفن الى هناك واسال عن مقدار الحبـــوب التي استقبلوها ، ومقدار الحبوب التي شحنوها ، وعن المساعدة المطلوبة . لقد صانوا كليا الحبـــوب الفائقة القيمة ! وفيما بعد ، عندما نفذ الاتباساريون التزاماتهم—وكانوا قد تقدموا بالمبادرة في تسليم الحبوب علاوة على الخطة—وعندما نشرت «البرافدا» مقالة مسهبة عن مبادرتهم (وهي مبادرة طيبـــة مفيدة) شعرت—وحقا وصدقا اقول— بعمق مشاركتي الشخصية في نجاح السواقين والمسؤولين في لجنة الحزب في الناحية وخبراء التخزين وشغيلة السكة الحديدية . والحال ان هذا يبعث على السعادة .

في عام ١٩٥٤ ، استطاعت كازاخستان ، لاول مرة في تاريخها ، ان تقـــدم الى اهراء الوطـــن السوفيتي زهاء ٢٥٠ مليون بود من الحبوب ، اي ما يزيد ١٥٠ مليون بود عمّا في افضل الاعوام السابقة . وشعرنا جميعا ، نحن المشتركين في استصلاح الاراضي البكر ، بالسعادة الحقيقية من جراء هذا الانتصار .

-٧-

منذ خريف ١٩٥٤ جرى الزحف على الاراضي البكر على نطاق اوسع . وبالاضافة الى السوفخـــوزات التسعين الحديثة التاسيس ، كان يتعين انشـــاء زهاء ٢٥٠ سوفخوزا آخر . وبالقدر الذي كان يزداد عدد السوفخوزات كانت تزداد همومنا .

ولكن المنظمة الحزبية في الجمهورية لم تكن قد كسبت نحو ذلك الزمن التجربة في مجال العمل اليومي في الاراضي البكر وحسب ، بل كان قـــد ارتسم كذلك امامها برنامج للعمل على ما يكفـــي من الوضوح محسوب لمرحلة طويلة . فان الكثير من السمات الحالية لزراعة كازاخستان ، وبنيتها من حيث الفروع ، واتجاهات تطورها الاساسيـــة كانت قد تحددت ، وطفقت تتراءى بجلاء متعاظـــم ابدا آنذاك ، منذ نحو ربع قرن .

اما ما كان يشغل بالنا بنحـــو خاص في تلك الحقبة ، واية مسائل كنا نحلها في المقام الاول وكيف كان يجري النضال من اجل تطبيق مشاريعنا فقد تحدثت جزئيا عن كل هذا في كتابي «مسائل سياسة الحـــزب الشيوعي السوفيتي الزراعيـــة واستصلاح الاراضي البكر في كازاخستان» . وتحاشيا للتكرار ، اكتفي بذكر الخطـــوط الاساسيـــة المهمات البرنامجية في تلك السنوات :

عن طريق استصلاح الاراضي البكر والبـــور وكذلك عن طريـــق زيادة المردود في الاراضي المحروثة قديما ، يجب جعل فرع الحبوب الفـــرع الرئيسي في زراعة كازاخستان ، وزيادة انتـــاج الحبوب في كازاخستان عشر مرات على الاقـــل بالقياس الى المرحلة السابقة ، وتحويل الجمهورية بالتالي الى منطقة جديدة من اكبر مناطق انتـــاج الحبوب في الاتحاد السوفيتي ؛

يجب ان يوضع ويطبق بالتدريج في منطقـــة الاراضي البكر المستصلحة نظام علمي للزراعـــة مكيف الى اقصى حد للظروف الطبيعية والمناخيـــة المعقدة للغاية في المنطقة ، يتيح صيانة والماء الخصوبة الطبيعية لاراضيها ؛

مع تاسيس سوفخوزات من اكبر سوفخـــوزات الحبوب في الاتحاد السوفيتي ، يجب توفير كل ما يلزم في كل منها—سواء المشروعات الانتاجيـــة الحسنة التجهيز ، ام البلدات من طراز المـــدن المزودة بجميع المرافق ، وبمجموعة كاملـــة من الخدمات الاجتماعية والثقافية والمعيشيـــة . يجب اعادة تنظيم جميع السوفخوزات والكولخـــوزات القديمة في الجمهورية بصورة تامة ، وتوسيعهـــا واعادة بنائها حسب طراز الاستثمارات الجديدة !

يجب تحقيق ترابط اراضي المقاطعـــات ذات الاراضي المستصلحة في اقصر الآجال بواسطـــة شبكة من السكك الحديديـــة وطرق السيارات وكذلك من الطرق بين السوفخوزات ، ومد خطوط نقل الطاقة الكهربائيـــة ، وخطوط المواصـــلات التلغرافية والتلفونية، وتامين المواصلات اللاسلكية وبناء الصوامع الكبيرة للحبوب والمصانع لانتاج وتصليح الآلات الزراعية والعشرات من المؤسسات الاخرى في النقاط المركزية ، وتحويل كازاخستان الشمالية على هذا النحو الى منطقة اقتصادية رفيعة التطور وعاملة كعضوية اقتصادية مكتملة !

توطيد القاعدة العلفية بصورة جذريـــة وتامين تطوير تربية الماشية بسرعة بالاستناد الى انماء انتاج الحبوب والاستفادة من نفاياتـــه والى زيادة مساحات المزروعات العلفية ولاسيما منهـــا الذرة الصفراء زيادة كبيرة وسريعة ، وكذلك عن طريق زيادة مردود الاعشاب المزروعـــة وتحسين اراضي الحشائش . يجب زيادة انتاج جميـــع اصنـــاف المنتوجات في هذا الفرع في المستقبل ١٠٠٪ على الاقل !

يجب تطوير زراعة الرز والقطن والشمنـــدر والخضروات والبستنة والكروم في جنوب الجمهورية تطويرا مكثفا عن طريق تجويد التربة .

لم يكن هذا البرنامج سهلا . كذلك كان ينبغي تحقيقه ، لا جزءا جزءا ، بل بكليته . ويقينا انه كان يتعين تصور جميع المصاعب التي واجهناها آنذاك والتي سنواجهها من كل بد في المستقبل وكان من المهم جدا ان نشعل نيران ايماننا وعزيمتنا في نفوس جميع الذين تسنى لنا ان نعمل معهـــم آنذاك .

لناخذ تربية المواشي . فان عددا كبيرا نسبيا من الرفاق ، اذ استغرقوا في النضال من اجل زيادة انتاج الحبوب ، اهملوا فروعا مهمة اخرى من فروع الزراعة .

وعمدنا بكل حزم الى اعادة بناء نظام تربيـــة المواشي ، مثلا . وكان بعضهم يلومونني احيانـــا لاني غالبا جدا ما اردد ما سبق وقلته ، وكانمـــا يلمحون الى ان كل شيء واضح ، فما الداعي الى تكرار الشيء نفسه . ولكن رغم هذا الوضوح كانت الامور تتقدم ببطء ، بل كانت احيانا تراوح في مكانها . فقد تطلب جهودا كبيرة ، مثلا ، ادخال زراعة الذرة الصفراء ، وهي نبتة جديدة عمليـــا بالنسبة لكازاخستان . وقد اعتزمنا زراعتها من اجل الحبوب ، ولكن معظم المزروعات منها كان معدا للعلف الاخضر . وقد استثار ذلك بين الرفـــاق المحليين مقاومة ضمنية : كيف يمكن استنبـــات «العشب» في الارض المحروثة ؟ واقتضى الامـــر اللجوء من جديد ومرات عديدة الى الجدال والاقناع والاطلاع عمليا على اساليب زراعة الذرة الصفراء والعناية بها وحصادها وتحضير العلف السيلاوي منها .

كنت اعرف جيدا قيمة هذه المزروعة من خبرة اوكرانيا ومولدافيا ، ولكن بما اني لست مهندسا زراعيا ، فقد قررت ان اتشاور مرة اخرى مع خبير كتبت رسالة الى صديقي ، «السحّار» في مجـــال «الذرة الصفراء» ، العالم الشهير مارك يفستافييفيتش اوزيرني ، المقيم في قرية ميشورين روغ بمقاطعة دنيبروبتروفسك . وسرعان مـــا جاءني منه جواب حاملا نصائح قيّمة للغاية ، كما ارسل لي ، بناء على طلبي ، بذور الذرة الصفراء من انواع صالحة لكازاخستان الجافة . تحركت القضية ، ولكننـــا طرحنا غير مرة هذه المسالة على بساط البحث في مكتب اللجنة المركزية ، وعقدنا الحلقات الدراسية المخصصة للذرة الصفراء .

لقد تكللت المبذورات الاختبارية في الربيـــع الاول بالنجاح ؛ وفي سنة ١٩٥٥ ، زرعنا بالذرة الصفراء ٧٠٠ الف هكتار . كذلك اخذت تربيـــة المواشي تتنامى ، بـــوتائر غير سريعة . وفـــي هذا المجال ، كما في غيره من المجالات ، ساعدتنا المثابرة على وجه الضبط . وفي اجتماع النشطاء على صعيد الجمهورية الذي انعقد في آذار (مارس) ١٩٥٥ ، قلت :

— هناك مسائل تتطلب العودة اليها من جديد اكثر من مرة . فعلام يدل هذا ؟ برايي انه يدل من جهة ، على الاهمية الحيوية للمهمة المعنية ، ومن جهة اخرى ، على صعوبة ادائها الهائلة . ان العودة بالحاح ومثابرة الى هذه المسائل انما هي برهان آخر على جدّية نوايانا . وفي المستقبل ايضـــا سنواصل على نحو مطرد ، وبـــدون تارجح وتردد ممارسة تركيز الجهود على الهدف المنشود بغيـــة تجسيد افكارنا . وما من شك في انه سياتي زمن لا تعود فيه هذه المسائل واردة في جدول الاعمال واذ ذاك—وهذا ايضا ندركه تمام الادراك—ستواجهنا مسائل جديدة ، مهمات جديدة اكبر ابعادا وجلالا .

الا ان ذلك لم يدركه بعض الرفاق . فان اولى غلال الاراضي البكر المستصلحة قد بدت لهم نهاية كل عملنا او يكاد . وقد خيل اليهم ان من الممكن ان تحل فترة التقاط انفاس ، فطفقوا ينظمـــون «رقصة الكوادر» ، اي انهـــم عمدوا الى ترشيح طائفة من العاملين للترقية . لا اريد ان اقول ان هؤلاء لم يستحقوا الترقية . بالعكس . فاني اتذكر واحترم شديد الاحترام اوائل مدراء السوفخوزات الجديدة . لقد تحملوا اعباء كثيرة ، وصار العديد منهم فيما بعد من كبار منظمي الانتاج . ولكنه كان من سابق الاوان آنذاك نقل العاملين من منصب الى منصب .

ولنجـــاة توجـــه الىّ احدهـــم ، وهو فيودور تروفيموفيتش مورغون ، باعتراض لا يمكن اعتباره عاديا : يعرضون عليه منصبا ارقى ، ولكنه لا يريد ذلك ويرفض هذه الترقية رفضا قاطعا . لا داعي لي الى التحدث عن هذا الرجل بالتفصيل ، لانه وصف فيما بعد كل شيء بنفسه في كتابه «تاملات في ملحمة الاراضي البكر» . كذلك كان سوفخـــوزه من عداد افضل الاستثمارات ، وغالبا ما كنا نضرب به المثل ولهذا جرى ترشيح مديـــره لتسنم منصب رئيس اللجنة التنفيذية لسوفييت الناحيـــة . من الواضح ان هذا شرف له ؛ الا انه استاء لذلك غاية الاستياء : لقد رتّب امور استثمارته وتآلف مع شغيلتها ورسم خطة لتحويل السوفخوز الى معمل حقيقي لانتاج الحبوب الرخيصة ، ولكنه مضطر الآن الى ترك هذا كلـــه واقتضى الامر ان اتدخل في القضية شخصيا ، واليكم ما قيل بهذا الصدد في مداولة كبيرة :

— لا يسعنا ان نوافق على قرار مكتب لجنة الحزب في مقاطعة كوكتشيتـــاف بنقل مديـــر سوفخوز «تولبوخينسكي» مورغون الى عمل آخـــر ، وان من باب الترقية . فلا داعي الى التسرع في نقل العاملين من مكان الى آخر . بل ينبغي مساعدتهم في بنـــاء السوفخوزات ، والتضلع بنظام الزراعة مع مراعاة خصائص التربة والمناخ المحلية ، وتمكينهم من ان ينجزوا بنجاح القضية الجاري تحقيقها ، وبعد ذلك فقط ، تقديمهم ، عند الاقتضاء ، الى مناصب ارقى .

اليكم مثالا آخر . جاءت يفدوكيـــا الدريفنـــا زايتشنكوفا الى الاراضي البكر ، وهي تناهز الخمسين من العمر . ولكنها كانت قد احتفظت بحمية الشباب والارادة القوية ، وصلابة الطبع ، واهم ما في الامر هو انهـــا كانت تمتلك قلبها الهيوبة والوطنيـــة المتاججة . فان طموحها الواعي الى ان تحقق من اجل بلادها ما هو الاكثر ضرورة وشانا ولذا قد حملها الينا ، ومنحها القوى لانشاء سوفخوز «دلوزيتشني» في السهب . وسرعان ما جرت ترقية هذه المراة ايضا الى منصب ارفع ، ولكنها ، بعد ان عملت خلال فترة في المكان الجديد ، قدمت الطلب التالي :

«ارجو اعضاء لجنة الحزب في الناحية كل الرجاء

اعفائى من منصب الامين الاول للجنة الحزب فى الناحية . ارجو هذا لانى اعتبر انى استطيع فيما تبقى لى من سنوات العمر ان اجلب مزيدا من النفع للحزب ولجميع الناس اذا مارست عملا ملموسا فى ميدان الاقتصاد . ارجو ارسالى الى سوفخوز متخلف وانى اتعهد بان ابذل قصارى الجهد ، مع شيوعييه ومع جميع العمال ، بغية جعله فى مصف الاستثمارات المتقدمة فى مقاطعة تسيلينوغراد» .

ووفت بتعهدها : فان سوفخوز «ايجيفنسكى» قد شغل برئاستها احدى المراتب الاولى . لقد وهبت يفدوكيا اندرييفنا الارض الجديدة التى احبتها سبع عشرة سنة من عمرها . وعندما كانت تحتضر ، طلبت من الاصدقاء الذين جاؤوا لزيارتها فى المستشفى امرا واحدا فقط :

— لا تنصبوا أي سياج حول قبرى ، لا تفصلونى عن السهب ...

امثال هؤلاء الناس انما هم كنز الحزب والشعب وموضع اعتزازهما . وكنا نحرص عليهم بعناية خاصة . وبدون علم اللجنة المركزية للحزب الشيوعى فى كازاخستان ، لم يكن يحق لأحد ان ينقل مدراء السوفخوزات الى مناصب اخرى ، وبالاحرى ان يعفيهم من المنصب . وحسبما اذكر ، اضطررنا الى ان نعفى من العمل حوالى عشرة مدراء لا اكثر اذ تبين ان عبء المهام فى الاراضى البكر فوق طاقتهم وكنا نتقيد بالسياسة ذاتها فيما يخص الكوادر الاخرى ايضا : كنا ندعم خيرة العاملين بشكل فعال ونتعامل الاكفاء الواعدين بصبر ، ونتخلص بحزم من الذين كان من البين انه لا امل فيهم ، من العاملين .

ان الغلال الوفيرة قد لفتت انظار الجميع الى الاراضى البكر ! واخذت ترن فى الصحافة انغام النصر ، واصبح من المالوف اطراؤنا وتهنئتنا ولكننا كنا ندرك انه لا يجوز الركون الى الاطمئنان فمن سابق الاوان النوم على اكاليل الغار . ولقد ادركت المنظمة الحزبية فى كازاخستان جيدا انه ينبغى الاسراع فى بناء صوامع الحبوب والمستودعات وفى نقل الناس بسرعة من الخيام والاكواخ الترابية الى المساكن العادية . فلقد اخذ ذلك يغدو لدرجة متزايدة قطاعا حرجا ، نقطة ضعف .

كان ينبغى بناء كل شىء حقا وفعلا من الصفر ولكن مم نبنى ؟ لو كان ثمة غاب حولنا ، لما نهضت المسالة . صحيح ان البيوت المجمعة ومواد البناء كانت تتوارد الى الاراضى البكر ، ولكن بمقادير لم تكن تكفى ؛ كانت مشاريعنا تسبق امكانياتنا ! ولذا كان ينبغى ، بالطبع ، الاستفادة من الموارد المحلية الى اقصى حد . ولكن ليس الجميع كانوا يبدون الفطانة والحذاقة ...

مثلا ، اجىء الى مركز للناحية واسال : كيف حال البناء ؟ ويجيبون : سيىء ، لماذا ؟ لا آجر ولكن حين كنا نطوف مع امين لجنة الحزب فى الناحية فى الشوارع نعثر على عمارات آجرية ضخمة بتواريخ على واجهاتها — سنة ١٩٠٤ ، سنة ١٩١٢ ... ولكننى على علم راسخ بان مصانع الآجر كانت ولا تزال تنعدم فى هذه الانحاء .

— من بنى هذه العمارات ؟

— الزيمستفو* .

— ومن اين جلبوا الآجر ؟

— هناك فى السهب ، فى وهدة ، بنوا قمينا فى الهواء الطلق وصنعوا الآجر . ومن هذا الآجر بنيت هذه المدرسة ايضا ...

— اذن ، الزيمستفو استطاع ان ينظم كل شىء اما انتم ، العاملين فى لجنة الحزب فى الناحية واللجنة التنفيذية لسوفييت الناحية ، فلا تستطيعون ؟ فاى قيمة لكم ، كقادة ، والحالة هذه ، يا ترى ؟ الطين متوفر فى كل مكان ، فشيدوا قمينات من هذا النوع ، ومصانع غير كبيرة للآجر ، فانهما تنفعكم لمائة سنة .

— مستحيل ... المصنع فوق طاقتنا ...

تملكنى الغضب ، فالى اى درك يدفع الخمول بالناس !

ذات مرة ، انتبهت الى قصر آجرى فى قرية بارفيخا ، بضواحى موسكو ، جعلوه مقرا لاصطياف فريق من الطلائع الأحداث واستفسرت عن قصة هذه العمارة . فقالوا لى انها كانت ملك بارونة وكيف بنى هذا القصر ؟ قالوا : بكل بساطة — فاول ما عمدت اليه البارونة هو بناء مصنع للآجر ، ومن الآجر تم تشييد هذا القصر فى الريف وبجواره جميع المبانى الثانوية اللازمة ، ومن ثم باعت المصنع وعوضت بالتالى عن جميع نفقات البناء . وبديهى انها لم تفكر بكل هذا بنفسها ، بل كان لديها قيم فطن . هكذا كان الحال . اما عندنا ، فان جماعات بكاملها وقادة محنكين ومهندسين وبناة لا تخطر فى بالهم احيانا ، وهم يقدمون على مشاريع جليلة فكرة بناء مصنع بسيط للآجر ، ويتكلون دائما على الدولة ، ويستعينون بلجنة الدولة للتخطيط .

فى سياق استصلاح الاراضى البكر ظهرت ثمة حاجة ، كما اذكر ، الى ان نستعير من بعض المزارع القديمة لتربية الخيول اسطبلاتها لكى نقيم فيها مشاغل لبعض محطات الآلات والجرارات . وكانت هذه الاسطبلات عبارة عن عمارات متينة مبنية من الآجر المصنوع بواسطة القمينات البسيطة المذكورة آنفا . وعندما كنت احدث الرفاق عن ذلك ، وعندما كنت اتوفق فى التأثير فيهم وتخجيلهم ، كان يحدث ان يعمد ذوو الفطنة من عداد اهل الادارة الاقتصادية الى تنظيم انتاج الآجر . وفيما بعد ، كانوا يعربون عن شكرهم ويقولون : كيف لم يخطر ذلك فى بالنا من قبل ؟

كذلك كان القصب من عداد مواد البناء المحلية وعندما علمت ان ذوى المبادرة والهمة بنوا لانفسهم بيوتا حسنة من الصفائح المصنوعة من القصب رخت القى نظرة اليها ووجدتها جديرة تماما بالاستحسان : فهى بيوت لا باس بها ، صالحة للقصد منها ، فى السنوات الاولى . وهذا يعنى انه يجب تنظيم حصد وجلب القصب بمقادير كبيرة بغية انتاج الصفائح منه . تفحصت خريطة للجمهورية اشير فيها الى امكنة القصب ، وقررت ان اراها كما هى عليه بام عينى وطرت فوق وادى نهر ايلى حتى بحيرة بلخاش . ومن على ارتفاع مائة متر ، رأيت ادغالا كثيفة شاسعة من القصب !

وسرعان ما نظمنا حصد القصب حيث كان متوفرا — على ضفاف الانهر ، وعلى ضفاف البحيرات العديدة فى السهب . وانتجت المصانع بسرعة آلات ضرورية بسيطة ، مريحة وكبيرة المردود تهشم القصيب وتكبسه وتصنع منه صفائح متينة . ومن هذه الصفائح كان يمكن تركيب الابنية حسب اى طراز هندسى . وبعد التركيب ، كان جرى تجصيصها ثم دهنها ، واذا الحاصل بيوت دافئة ممتازة . وبعد ان جربنا البناء بهذا الاسلوب ، عقدنا فى احد الكولخوزات بجوار الما — آطا حلقة دراسية على صعيد الجمهورية للتعرف على خبرة بناء البيوت من هذه الصفائح .

اولت اللجنة المركزية للحزب الشيوعى فى كازاخستان قضايا البناء اهمية من الدرجة الاولى وقد بقيت الى الآن رسالتنا الى اللجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفييتى عما كان متوفرا لدى جمهورية كازاخستان عندما شرعت فى استصلاح الاراضى البكر . كانت القوى مشتتة . وكان هناك اكثر من ثلاثين مؤسسة للبناء ضعيفة القدرة تخضع لمختلف الوزارات والمصالح الوزارية . وجميعها معا كانت تمتلك ٥٩ خلاطة خرسانية ، و٦ رافعات برجية ، و٥٨ ناقلة ، و٥ شاحنات سيارة ، و٥٧٠٠ عامل فقط . ولتنفيذ الخطط الجديدة ، كان ينبغى من الايدى العاملة ما يوازى ، على اقل تقدير ، عشرة اضعاف عدد هؤلاء العمال !

ومن المؤكد اننا واجهنا المصاعب فيما يخص مواد البناء ، ولاسيما منها الآجر لاجل ورشات البناء فاستعنت بقادة عدد من الجمهوريات السوفييتية ويجب القول انهم ساعدونا جيدا ! فقد اخذ الآجر يصل من ارمينيا وجورجيا واستونيا ومن اماكن كثيرة اخرى . خلاصة القول اننا حللنا هذه القضايا التى واجهتنا ، وحللناها بنجاح .

—٨—

فى خريف ١٩٥٤ ، انعقد مؤتمر ادباء كازاخستان واصبح حدثا كبيرا فى حياة الجمهورية الثقافية .

لقد سبق وعالجت الامور المتعلقة بالثقافة القومية . وعندما كنت اعمل فى مولدافيا اقتنعت بانه اذا كان المرء يقطن فى جمهورية ليس هو من ابناء قوميتها ، فعليه ان يعرف عادات شعبها وتقاليده وتاريخه ، وابداعه الفنى . وما ان وصلت الى الما — آطا ، حتى احطت نفسى بالكتب ، وغالبا ما تلاقيت مع الادباء والفنانين الكازاخ ، وحضرت المسرحيات ، وبدائع فن القديم الى الفنون ، طالعت الكثير من قصائد الشعراء الكازاخ ، ولاسيما منهم اباى الذى استهوانى بالغنائية ، والحكمة الشعبية والتفهم العميق للحياة . لقد علم اباى الشعب الكازاخى ان لا ينطوى على نفسه ، ان لا يراوح فى مكانه ، ان يغنى ابداعه بمنجزات الشعب الروسى وغيره من الشعوب . وهذا مهم لزمننا ايضا . فان كل ثقافة قومية منطوية على نفسها تخسر لا محالة وتفقد سمات النزعة الانسانية العامة . ومن المؤسف ان ليس الجميع وليس دائما يفهمون هذا .

لقد برهنت الاشتراكية من زمان انه بقدر ما يشتد نمو كل من الجمهوريات القومية ، بقدر ما تتبدى عملية اشاعة الامية بمزيد من الجلاء ولربما تكون كازاخستان اسطع مثال فى هذا المجال فان ملحمة الاراضى البكر جعلتها بدون مبالغة «كوكبا لمائة لغة» . وتطورت الثقافة الكازاخية مقتبسة خير ما فى الثقافات القومية الاخرى ، احسن هذا ام سيىء ؟ نحن الشيوعيين نجيب : حسن حسن جدا ! لانه لا يجوز تبسيط المسالة الخارقة الاهمية ، مسالة التقاليد القومية والاصالة ، وحصرها فى الاثنوغرافيا والتفاصيل الخارجية لنمط المعيشة : فى روسيا — فى «العزبات» (المساكن الفلاحية) دبكات الرقص والغناء ، والكوكوشنيكات (نوع من عمرات النساء) ، فى كازاخستان — فى الخيام من اللباد وقطعان الخيل .

ولقد حاولنا فى اللجنة المركزية ان نسدى المثقفين المبدعين مساعدة دائبة . فرغم كل مصاعب استصلاح الاراضى البكر ، جرى فى ذلك الوقت بالضبط تاسيس فرقة الدولة الكازاخية للغناء والرقص ، واستؤنف اصدار جريدة «كازاخ ادبياتى» وجرى اعداد مهرجان الادب والفن الكازاخى فى موسكو . ولم يخل الامر من المجادلات ؛ وركز بعضهم على ابداع الشعراء الشعبيين الشفوى وحده هذا ، وكانت تطرا فى ادب الجمهورية تغيرات نوعية عميقة يشترطها مجرى البناء الاشتراكى نفسه ونمو الانتلليجنسيا الفنية الكازاخية . وظهر شباب موهوب لا يعرف ويحب التقاليد والاغانى القديمة وحسب ، بل يعرف ويحب كذلك الادب السوفييتى والعالمى كله . كان هؤلاء اناسا تحرروا من الرتابة وكان ينبغى دعمهم . ولكن الرئيسى ، هو انه كان لا بد من تنقية الجو نفسه فى الاتحادات الابداعية فى اوساط الانتلليجنسيا . كان لا بد من رص صفوفها ، وتوحيد جميع القوى لاداء المهمات الهائلة التى كانت تواجه الجمهورية .

والاحظ ان انصار العزلة القومية يعمدون عادة بحجة الذود عن «التقاليد القومية الخالصة» ، الى الدهاء والمراوغة ، ونادرا ما يعملون على المكشوف بل بالعكس . فهم يستغلون بحذاقة اخطاء الاخصام ايا كانت ، لكى يظهروا ، كما يقال ، اكثر قداسة من بابا روما . واذكر اى ضجة اثيرت حول دور المدعو كينيسارا . فى البدء قالوا عنه انه تقدمى نادى بتوحيد كازاخستان مع روسيا . ثم عثروا على وثائق تبين انه كان رجعيا وانه لم يحبذ التوحيد ... لا اريد ان اتعمق فى احداث قديمة ، ناهيك بانى لا اعتبر نفسى اختصاصيا فى هذا الموضوع . ولكن امرا آخر كان يهمنى . فمن جراء المعارك التى فرضها بعض الديماغوجيين ، اضطرت الى مغادرة كازاخستان شخصيات بارزة مثل الكاتب مختار آويزوف والاكاديمى كانيش ساتباييف .

وقد ساعدناهما فى العودة الى الما — آطا . فللعالم البارز كانيش ايمانتاييفيتش ساتباييف تعود افضال كبيرة جدا فى تطوير القوى المنتجة فى كازاخستان ومختار عمرخانوفيتش آويزوف من اعلام الادب الكازاخى . وبامتنان اتذكر هذين الرجلين اللذين تقابلت معهما مرارا ، وتعاونت معهما بوثوق وتصادقت معهما فكنا اصدقاء من الروح للروح وكنا نقول فى احاديثنا ان كل تطرف ضار ، ايا كان . كذلك لا يجوز نسيان الابداع الشفوى الذى يحبه الشعب . «يا ابناء لينينغراد ، يا ابنائى» — ان اشعار جامبول المشهورة هذه تحفظها البلاد باشرها . ليعش ابداع الشعراء الشعبيين ويتطور فى السبيل العام للادب الكازاخى القومى والادب السوفييتى المتعدد القوميات .

كذلك كانت تشغل بالى فكرة اخرى : ما العمل للفت انتباه الفنانين الى موضوع استصلاح الاراضى البكر ؟ قلت فى لقاء مع فريق من الكتاب فى اللجنة المركزية : انظروا ، اية احداث تجرى امام ابصارنا تنتقل جماهير غفيرة جدا من الناس ، وتتالف جماعات متعددة القوميات ، وتظهر عائلات جديدة

* الزيمستفو — الادارة الذاتية المحلية برئاسة النبلاء فى محافظات روسيا ما قبل الثورة . الناشر !

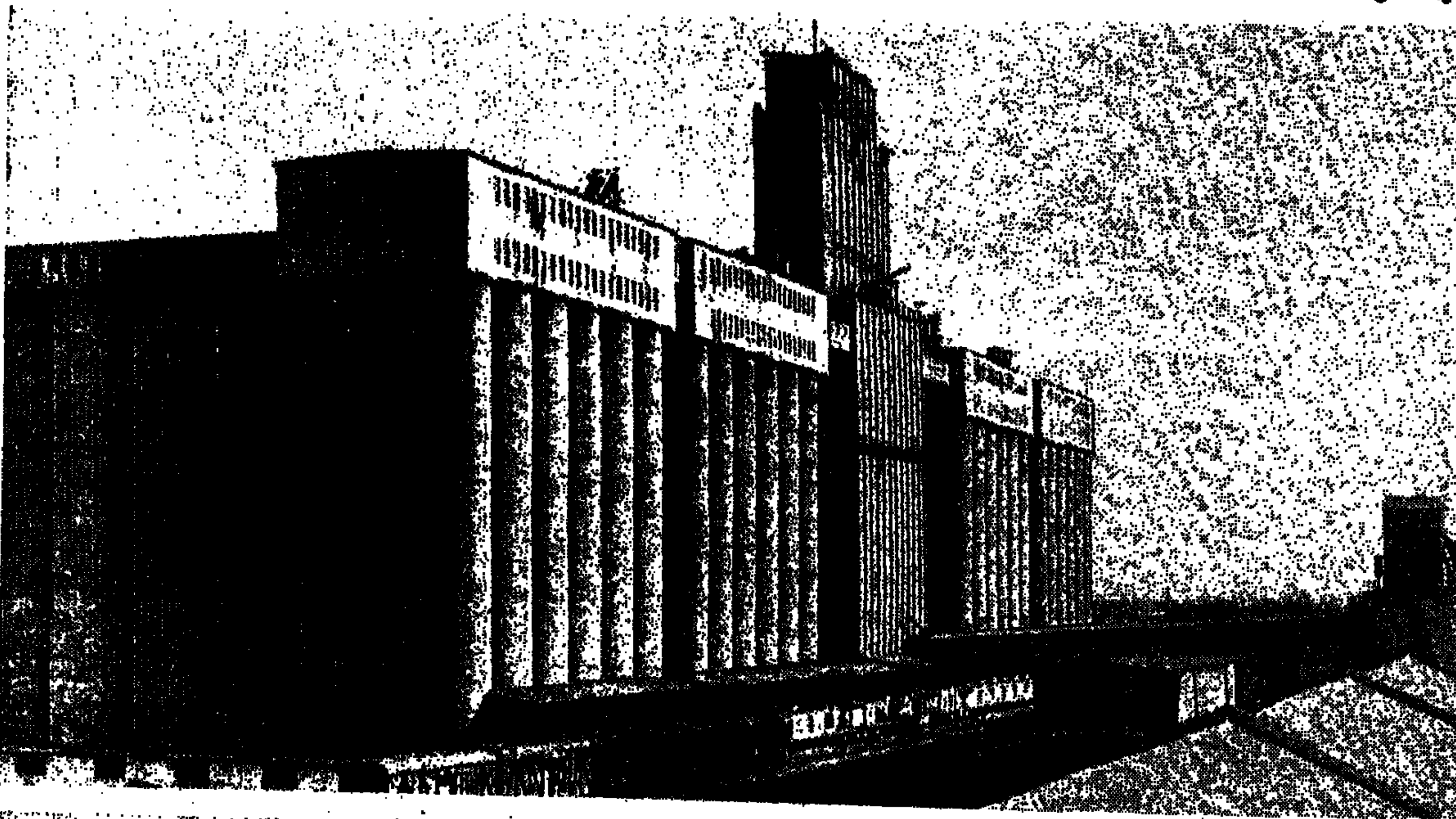


مزرعة الحبوب فى كازاخستان



يقوم فريق الاختصاصيين فى الالات الزراعية برئاسة الشيوعى ياكوف شتراوخ من سوفخوز مقاطعة كوستاناى بدرس عشرة الاف قنطار من البذور يوميا ، وهذا مثال جيد فى المقاطعة المذكورة وقد منح الفريق جراء ذلك راية المباراة الحمراء .

احرزت فرقة الرقص والغناء «ايغول» نجاحات كبيرة فى كازاخستان .





وتتمرس الطبائع ، ويتمرس ابطال زمننا . ومن قديم الزمان كان الخبز في كازاخستان من الطيبات من اعز الاشياء . والآن يصبح هذا القفار قطر الحبوب . ويتغير كل نمط الحياة ، وتولد نفسية جديدة عند الناس . افلا تحرك عظمة ودرامية ما يجرى مشاعر الفنان الحقيقي ؟ ان احدا لن يفهمنا الآن ، ولن يفهمنا في المستقبل ، اذا لم تنعكس هذه الملحمة بسطوع لأجل التاريخ .

في ذلك الجو ، كان من المهم ان يصبح مؤتمر كتاب الجمهورية عيدا للثقافة السوفيتية جمعاء فدعونا الى الما-آطا ميخائيل شولوخوف وليونيد ليونوف وكمبل ياشين وميرزو طورسون-زاده ومكسيم تانك وغيرهم من مشاهير الكتاب . وبعد ذلك ، اخذ الملحنون والممثلون والرسامون يترددون اكثر فاكثر على الاراضي البكر ، وشرعت الصحافة تنشر المقالات والقصص عن معركة الحبوب ، وظهرت الافلام السينمائية ، وعرضت المسرحيات ، ودوت الاغاني الجديدة . ولا ريب في ان كل هذا اضطلع بدور ايجابي .

في ذلك الوقت ، حلمت بان تنعكس ملحمة الاراضي البكر ذات يوم في المؤلفات الادبية والفنية بنفس القدر من القوة والعمق الذى انعكست به الحرب الاهلية في «الدون الهادى» وانعكست اشاعة التعاونيات في «والارض البكر فلحناها» . وليس ثمة بالنسبة لرجال الادب والفن مهمة اشد طرافة والهاما من تصوير مآثر الشعب ، بما فيها مآثره في الاراضي البكر .

- ٩ -

اطلق على عام ١٩٥٥ نعت «عام الياس» في الاراضي البكر . ولكنني لا اميل الى استخدام هذا التقييم المتطرف رغم ان الحال كان شاقا جدا . فطوال الصيف كله ، ابتداء من شهر ايار (مايو) ، لم تسقط ولا قطرة من المطر على الارض . ولم نر كذلك امطار حزيران (يونيو) العادية التي تنهمر كالما حسب جدول المواعيد . فقد كان ينبغي الاستعداد للاسوأ .

ان من لم يكن في السهب في زمن طقس كهذا لا يمكنه ان يعي حالة الزارع النفسية . ان المرء يعاني شعورا غريبا : في الربيع كان السهب يتغطى احيانا ببحر من المياه ، وكان الناس يصلون بالزوارق الى فرقهم . ولكن ما ان تزول مياه الربيع حتى يتغير الوضع كليا . فمنذ الصباح تبدأ الشمس المتوهجة عملها المدمّر ، وتسبح ببطء في السماء الكامدة ، الضاربة الى البياض ، مشعة قيظا لا يطاق وتغرق قبيل المساء ، حمراء قرمزية ، في سديم عكر فيما وراء الافق . ومن جديد ، دون ان تتيح للناس تنفس الصعداء او يكاد ، كانت تشرق في اليوم التالي ، وتواصل حرق كل حيّ ، وهكذا اسبوعا اثر اسبوع ، وشهرا اثر شهر ...

ولكننا كنا قد زدنا المساحات المزروعة ١٠٠٪ بالقياس الى السنة الماضية ، وقد بذرنا الحبوب في زهاء عشرة ملايين هكتار من الاراضي المستصلحة حديثا . وعلاوة على الغلة ، خصصنا مليونا ونصف مليون هكتار للبذر الربيعي . وقد حققنا عمليات البذر بوتائر اسرع وعلى نحو افضل مما في الربيع الاول ، وبمزيد من التقيد بالمواعيد المقررة وخلال سنة واحدة ، خطت الجمهورية في الزراعة خطوة هائلة الى الامام ، واخذت تتبين للناس بجلاء نتائج عملهم ، فواصلوا الكدح بكل جهد دون ان يعلموا ان المصيبة تترصدهم ...

كنا نعرف ، بالطبع ، ان القيظ والجفاف لا يدهشان احدا في هذا القطر . ولكننا لم نكن نعرف القساوة المشؤومة لتقويم السهب الذى ينقض على هذه الارض مرة واحدة كل عشر سنوات بالقحط القاسي والفتاك للغاية . لقد توقعنا سلفا—قبل بداية الهجوم—ان مكافحة اهواء الطبيعة امر محتم لا مفر منه هنا . وعندما اجرى العلماء الحسابات الاقتصادية المتعلقة باستصلاح الاراضي البكر كانوا على اعتقاد بانه حتى اذا تخللت سنتان جافتان وماحلتان جدا كل خمس سنوات ، فاننا على كل حال سنحصل من السهب بالمتوسط على ٥٠٠ مليون بود من الحبوب في السنة . لم تشر الحسابات اى شك . كنا نتصور ما نقدم عليه ! ولكن التصور شيء ؛ اما مشاهدة ملاك محصول ثمين كلف جهودا هائلة ، فشيء آخر .

وباي فارغ صبر ينتظرون المطر في مثل هذه الاحوال ! التوتر العصبي يبلغ حده الاقصى ، ولا يندر ان يستيقظ المرء ليلا ويهرع الى خارج البيت اذ يخيل اليه انه سمع طقطقة على زجاج النافذة : «اهو المطر ؟!» . ولكن ليست قطرات المطر ، بل حبوب الرمل التي يطاردها الريح الجاف هي التي تتساقط على النوافذ والسطوح .

ويصعب على المرء التنفس في السهب . فالهواء الساخن كما في فرن يحرق الرئتين . وكما في الصقيع القارص ، لا تطير الطيور . وتجف اوراق النباتات وتتساقط وتتناثر غبارا . وتتغطى الارض بشقوق عميقة لدرجة يمكنها معها ابتلاع المخل المرمي اليها . وتشيب وتبيض رقع شاسعة من سنابل القمح امام الابصار ، وتجف السنابل الفارغة التي لم يتسنّ لها ان تنضج . وعلاوة على هذا كله تهب فجاة عواصف ساخنة ، وترفع سحب الغبار وتقطع اسلاك خطوط المواصلات ، وتقتلع سقوف البيوت .

يمكن ادراك مبلغ الم زارع الحبوب الذى يرى كيف تباد بلا رحمة ولا شفقة ثمار عمله طوال سنة ، وكيف تتبدد جميع جهوده وآماله . ولا بدّ له من روح قوية واعصاب صلبة لكي يتحمل هذه المحنة . وحتى ادراك انه لا بدّ للسهب في الموسم المقبل ان يعوض عن الخسارة لا يساعد كثيرا اذ ان المرء يريد دائما ان يحصل على الغلة اليوم الآن .

لا اريد ان ابسّط الوضع ، ان ازخرف ما كان وما حدث . في تلك الاشهر ، اخذت تتوارد على اللجنة المركزية حتى رسائل يتساءل فيها اصحابها: ما العمل ؟

قرر مكتب اللجنة المركزية للحزب الشيوعي في كازاخستان عقد اجتماعات عامة لجماعات مستصلحي الاراضي البكر بغرض اطلاعهم بصدق على حالة الامور الفعلية ، وتشجيع الناس وتوجيههم صوب اهم المهمات في هذه الظروف ، والايضاح لهم ان السنوات لاتتشابه في الزراعة ، وان «العيد سياتي من كل بد الى شارعنا» هنا ، في الاراضي البكر وفي الوقت نفسه حذرت اولئك الذين سيمضون الى المحال من ان لا يظهروا انفسهم متفائلين اكثر من اللزوم . تلك كانت المهمة الرئيسية في العمل الحزبي الجماهيري في تلك الحقبة .

يجب القول ان مستصلحي الاراضي البكر هبوا الى العمل من جديد بهمة وحماسة بعد اجراء هذه الاجتماعات المفعمة بروح الصراحة والصدق ، التي عقدت في كل سوفخوز . ومهما كان قيظ الشمس وحريقها شديدين ، واصلنا الاستعداد للحصاد وقمنا حتى اواخر الخريف بتكديس الاعلاف ، ووسعنا لطاق اعمال البناء ورفعنا وتائرها ولاسيما في السوفخوزات . وارسلنا الى مناطق استصلاح الاراضي البكر البضائع الصناعية والغذائية بمقادير ضمنت التموين بلا خلل ولا انقطاع طوال الشتاء كله .

ولقينا المساعدة والمساندة من اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي .

واريد ان أوجه احرّ الكلمات الى اعضاء المكتب السياسي وامناء اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي الذين فعلوا الكثير في تلك السنوات لكي يجرى استصلاح الاراضي البكر باسرع ما يمكن وباكبر قدر ممكن من النجاح . وغير مرة تقابلت وتشاورت معهم ، وتلقيت دائما اجوبة دقيقة ملموسة ، عن المسائل المطروحة ، كما تلقيت الدعم الحزبي الحازم والتاييد المعنوى الطيب .

ورغم المصاعب ، واصلنا العمل في عام ١٩٥٥ بثقة ومثابرة . علام كانت ترتكز ثقتنا ؟ من المؤكد ان كلا منا قد تكدر واغتم حين راىَ ان الكدح الهائل المبذول في الارض لم يعط النتائج المنشودة ولكن المحصول في جملة من الاستثمارات كان لا باس به . فان سوفخوز «بجدانوفسكي» (مقاطعة كوكتشيتاف) ، الذى انشىء عام ١٩٥٤ ، قد جنى ٧٩٠ كيلوغراما من الحبوب بالهكتار في رقعة مساحتها ٢٢٫٥ الف هكتار ، وجنى سوفخوز «روسلافلسكي» (مقاطعة الما-آطا) ٩١٠ كيلوغرامات بالهكتار في رقعة مساحتها ٢٠ الف هكتار . ولم يكن عدد الاستثمارات كهذه قليلا كذلك جنت نواح برمتها وحتى مقاطعات برمتها محاصيل غير سيئة بالنسبة لتلك الايام ، ومنها مثلا ، مقاطعة كازاخستان الشمالية ومقاطعة كوكتشيتاف . وكان لا بدّ من اجراء تحليل دقيق لمعرفة ما ساعد البعض مع ذلك في الحصول على الحبوب ، وما جعل الآخرين يواجهون مزروعاتهم محروقة . واضيف ان جمهورية كازاخستان قد حصلت في ذلك العام من الاراضي البكر المحروثة بالذات على ٨٠٪ من مجمل غلة الحبوب ، رغم المردود المنخفض فيها عموما . ومن جديد كدست كازاخستان من الاعلاف الخشنة قدرا اكبر بكثير مما كان عليه الحال قبل استصلاح الاراضي البكر واعطت من الحليب مقدار ٨٥ الف طن ومن اللحم مقدار ١٢٢ الف طن اكثر من ذى قبل . وامكن تكديس زهاء مليون ونصف مليون طن من العلف السيلاوى ، المشكل بصورة رئيسية من الذرة الصفراء . يقينا ان هذه النجاحات متواضعة ، ولكنها اقنعت ايضا بان الاراضي البكر المستصلحة اخذت تلعب وسوف تلعب دورا متعاظما ابدا في زيادة انتاج الحبوب وسائر المنتوجات الزراعية . ولهذا- هيّا الى العمل ! ذلك كان شعارنا .

ولكن القحط هو القحط ، وقد عقّد كثيرا حل الكثير من المسائل .

في اواخر ١٩٥٥ حضرت في موسكو المداولة الاتحادية للمسؤولين في ميدان الحزب والسوفيتات وبالطبع يشعر المرء بالحرج في مثل هذه المداولات حين ينهالون عليه بالاسئلة او ، على العكس يتحدثون في تعمد عن شيء ما جانبي معربين بالتالي عن شفقة ضمنية . وعندما اعلنت من على منبر المداولة ان كازاخستان ستقدم للدولة في السنة المقبلة ٦٠٠ مليون بود من الحبوب ، سرت في القاعة دمدمة اعرابا عن عدم الثقة .

لكم تغير الزمن ! لو حدث اليوم ان حصلنا من الاراضي البكر المستصلحة على غلة من الحبوب تتراوح بين ٥٠٠ و٦٠٠ مليون بود في السنة اى الكمية التي كانت تبدو آنذاك نعمة كبيرة لاعتبروا ذلك نكسة شنعاء . ذلك اننا نحصل اليوم بالمتوسط على مليار بود من الحبوب في كازاخستان في السنة !

في اليابان ، كما يروى غونتشاروف في روايته «الفرقاطة «بالادا»» ، كانت رؤوس محافظي الولايات فيما مضى ضمانة مسؤوليتهم عن كل ما يجرى في اراضيهم—الزوابع البحرية ، والامطار الشديدة والهزات الارضية . اما رؤوسنا ، فلم يكن ثمة ما يتهددها على ما يبدو ، ولكن شعورا مرهقا باثم لا ذنب لي فيه ظل يضغط عليّ بعد عام ١٩٥٥ المنحوس . ولم انس هذا الشعور . واليوم ، اتلفن احيانا الى النواحي التي تتعرض للكوارث الطبيعية لكي اشجع القادة وحسب . وذات مرة دعولي الى مقاطعة اوليانوفسك : «ليونيد ايليتش ، تعال الحبوب عندنا جيدة جدا !» . ولكن ريحا قاتلة هبت بعد فترة وجيزة واتلفت الغلة كلها هناك وبالطبع ، تملك الارتباك والغم والانفعال والقلق الامين الاول للجنة الحزب في المقاطعة ، ولكن حديثي معه كان متزنا كالعادة . كان ينبغي التفاهم حول الاجراءات الضرورية ودعم الرفاق .

اما في ذلك العام المنحوس ، فلقد كان من الصعب علينا احيانا ، رغم اننا كنا نؤمن ايمانا تاما في النجاح ، ان نثبت صحة رأينا . وعندما اعلنت في احدى المداولات الكبيرة بحضور خروشوف ان الاراضي البكر المستصلحة ستبرهن على امكانياتها ، قاطعني بصرامة قائلا :

— ان وعودك لا تسمن ولاتغني من جوع !

ولكنه كانت تتوفر لي جميع الاسباب للاعتراض عليه بثقة ، فقلت :

— ومع ذلك ، نؤمن بان الاراضي البكر ستعطي عن قريب ، بل في القريب العاجل ، مقادير كبيرة من الحبوب !

اخذنا نستعد بهمة وعناد للبذر في الربيع القادم . كان العمل الخلاص الوحيد ، الامل الوحيد الدواء الوحيد . كان من المقرر ان تشغل المزروعات في منطقة الاراضي البكر ٢٧ مليون هكتار في عام ١٩٥٦ ، منها ٢٢ مليون هكتار تشغلها مزروعات الحبوب . ومن جديد اردت ان ازور كل شيء واتقابل مع الجميع ، وازور كل مكان ...

- ١٠ -

اننا نخصص اليوم لانماء انتاج الحبوب واللحم والخضروات وسائل مادية ومبالغ نقدية بمقادير هائلة الى حد لم يكن بوسعنا حتى ان نحلم به في تلك السنوات . ونحن نستخدم احدث منجزات التكنيك ، ونزود الزراعة باحدث المعدات ، ونطبق

باطراد تخصص الانتاج وتركزه ، ونقرّ برامج مجموعية شاملة كبرنامج انعاش وتطوير اقليم الاراضي الروسية العريقة المسمى باقليم التربة غير السوداء . وهذا هو اليوم خطنا الامامي .

ولكن الحال يجبر على ان نعيد دوما الى الاذهان الحقيقة التالية : لا وجود في الاقتصاد الوطني «للخط الخلفي» . فلا يزال ثمة رفاق مستعدون للتصرف بالملايين والمليارات ، ولكن يغيب عن بالهم ما يسمى بصغائر الامور . الا ان التصرف في حرص وعلى نحو مجد بكل ما يتوفر لدينا وما تنتجه بلادنا هو من القضايا البالغة الاهمية فالتبذير امر غير جائز ، وكلما تعاظم الاقتصاد اتساعا كلما تزايد الضرر الذى يسفر عنه هذا الموقف غير الحريص .

وقد سبق واقتنعت بذلك في الاراضي البكر ولذا لا اريد ان اغمض عيني عن «صغائر الامور» التي تتوقف عليها امور كثيرة جدا في حياة الشعب مثلا . اثناء جولة مديدة في ربوع كازاخستان الشمالية ، زرت سوفخوز «ايزوبيلني» بمقاطعة تسيلينوغراد . يقع هذا السوفخوز في اعماق السهب ، عند نهر سيليتي ، في بقعة جميلة ولكنها ظلت آنذاك في حالتها الطبيعية . لقد سبق لي وزرت هذا السوفخوز في بداية ملحمة الاراضي البكر ورايت الخيام التسع الاولى . اما اثناء هذه الزيارة فرايت بلدة فيها مساكن متعددة الشقق ومطعم ، ومتجر ، وحمام ، ومخبز ، ومشاغل ومكتب ، وكاراج . زد على ذلك—وكان ذلك على جانب خاص من الاهمية—ان جملة من سكان البلدة قد بنوا لانفسهم حوالى ثمانين بيتا فرديا . وهذا دليل على انهم جاؤوا الى هنا بغية الاستيطان حقا .

تحادثت معهم ، ورحت اسالهم عمّا يحتاجون اليه وعن كيف تنتظم الحياة . واليكم ما سمعته :

— لا براميل . فبدونها يستحيل تخليل الخيار .

— نحن بحاجة الى خنوص ، ولكن اين نشتريه ؟

— بودى لو اشترى بقرة ...

من المؤكد ان هذه المسائل ليست تافهة جرى استجلاب سلع متنوعة كثيرة الى الاراضي البكر . ولكن يتبين ان البراميل ضرورية من كل بدّ ، وان الدواجن والمواشي ضرورية ايضا ، وليس لمجرد تامين اغذية اضافية . فقد سبق لي ورايت في السنة الاولى قادمين جددا حاملين في يد حقيبة وفي يد اخرى سلة فيها كلب او هرة . وقد جاء الى سوفخوز «ياروسلافسكي» فتى من زابوروجيه حاملا قفصا فيه ديك . قال لي : «افضل منبه في السهب !» . يقينا انه كان يمزح ، ولكن الديك كان يفرح الجميع في الارض الخلاء . بل ان الفتيان دجنوا المراميط وطيور السهب .

كان يمكن اعتبار ذلك مظهرا للهوايات والميول البشرية . ولكن الحياة علمتني ان افهمها وان انظر اليها باحترام . ففي طفولتي كان يطيب لي ان اشاهد حومان سرب من الحمام فوق السطوح . يقينا ان ملايين الهكتارات ومليارات البودات كانت العنصر الاهم بنظرنا في الاراضي البكر ، ولكنه كان لا بدّ من مساعدة الناس في امتلاك حواكير الخضراوات والمواشي ، والدواجن . وبدون هذا ، ما كان من المتوقع جدا التوصل الى هذه الملايين والمليارات ان ابن القرية بدون هذه الدواجن وحواكير الخضروات كالشجرة بدون الجذور . وفي تلك السنوات كان من المهم لنا ان نبين للناس منذ بادىء بدء اننا ننوى تعمير السهوب بثبات ، والى الابد .

وفيما كنت انظر الى الحقل متاملا في هذه الامور وقع نظرى فجاة على قادم جديد آخر : كان غراب قيظ وحيد يطوف على الارض المحروثة السوداء مثل مهندس زراعي متمعن . ومعلوم ان غراب القيظ طير الحقول . وما دام قد طار الى هنا ، فهذا يعني انه يعتزم الاستقرار في هذه الانحاء .

لم انس الحوار في سوفخوز «ايزوبيلني» وتصفحت فيما بعد بعض الوثائق القديمة . في عام ١٩٣٤ ، ارسلت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي (البلشفي) لعامة الاتحاد السوفيتي مذكرة الى لجنة الحزب في اقليم كازاخستان ، طرحت فيها بصورة واسعة وحازمة مسالة تطوير حواكير الخضراوات سواء في المناطق الريفية ام في المناطق الصناعية وكانت هذه المذكرة المسهبة حتى تتناول صغائر الامور تحتوى طلبا بتقديم المساعدة النشيطة والشاملة لهذه القضية من جانب هيئات الحزب وهيئات السوفيتات وهيئات الدولة وكذلك من جانب رؤساء الكولخوزات ومدراء السوفخوزات وادارات التعاونيات . وسرعان ما تطورت زراعة الخضروات في الحواكير الشخصية . واكتسبت اساسا ماديا موثوقا . ولكنها اخذت ، مع مر السنين تنحط وتتضاءل ، وانخفضت حتى النصف تقريبا والحال ، كانت كمية البطاطا التي تحصل عليها كازاخستان من الحواكير الشخصية تربو بنسبة ١٥٠٪ على الكمية التي تحصل عليها من الكولخوزات والسوفخوزات .

وعندما كان يقتضي الامر ان ننتقد ونلوم بعض المدراء لانهم لا يطبخون للعاملين في استثماراتهم سوى حساء الشعير وحساء الدقيق ، كنا نسمع ردا على ذلك المطالب نفسها دوما : لم يخصصوا لنا اي حصص للاغذية من الاحتياطي المركزي ... اعطونا حصصا ... لا جدال في انه لا بد من توزيع الحصص للحصول على بعض الاغذية من الاحتياطي المركزي حتى لاجل الريف . ولكن هل من المعقول ان يطالب هؤلاء بحصص للبطاطا والخيار والملفوف والبطيخ من الاحتياطي المركزي ؟ فان هذا كله يمكن استنباته بسهولة في اي استثمارة كانت . والشيء نفسه يمكن قوله عن البيض والحليب . ومن قديم الزمان كان للفلاح دجاجاته ، وكان يتاجر بالبيض في سوق المدينة ، فلماذا يجب ان يتلقى الآن كل بيضة بموجب فواتير من موسكو ؟

ان الامر الذى تناولته هنا لا يزال ماثلا حتى الآن فلا يزال ثمة مسؤولون لا يعولون الا على الاحتياطيات المركزية الكلية القدرة حسبما يعتقدون ، دون ان يتعبوا انفسهم بامعان الفكر في مسالة المصادر لامداد هذه الاحتياطيات . ففي بلادنا يجب الاستفادة من كل امكانية ، من كل قطعة من الارض ، لأجل زيادة انتاج المنتوجات الزراعية في كل مكان ، لأجل توفير «اضافة» على مائدتنا العامة . يحدث لي ان يقع نظري ، وانا راكب القطار ، على قطع متروكة من الارض تترامى وراء نافذة العربة بين الفينة والفينة ، بوسع المرء تماما ان يستغلها للزراعة او لاستنبات الاعشاب العلفية وللرعي . والحال ان كل هذا من شانه ان يساعد في تحسين تموين السكان بفضل الموارد المحلية ، وفي الامتناع من استجلاب البندوره والخيار ، مثلا ، من الجنوب والبيض والقريشة والحليب من على بعد مئات الكيلومترات .

وهذا كله يجب الاّ يغيب عن بال هيئات الحزب والسوفيتات والاقتصاد ، واهل ادارة الصناعة فهم ملزمون بتاسيس وتطوير المشاريع الزراعية الموفقة بجوار المدن الكبيرة والصغيرة ، وتوفير مؤسسات مجموعية مختصة واستثمارات معاونة لكي تمد المتاجر بالبطاطا واللحم والحليب والخضروات والفواكه بوفرة . وهذه الامكانيات متواجدة في سفردلوفسك وتيومن واركوتسك وفي اي من المدن الاخرى في بلادنا . والى هذا بالضبط تاتي لي ان اوجه من جديد انتباه المسؤولين المحليين اثناء جولتي في ربوع الاورال وسيبيريا والشرق الاقصى في ربيع ١٩٧٨ .

اما فيما يخص كازاخستان فقد قررنا آنذاك ، في عام ١٩٥٥ ، تطوير زراعة الخضراوات في الحواكير الشخصية على نطاق واسع ، وتخصيص قطع من الارض لجميع الراغبين ، واستجلاب الادوات والمعدات ، وتقديم العون المطلوب لهم . وقررنا الشيء نفسه فيما يتعلق بالدواجن وبيع المواشي من الافراد . وكان من المهم بالقدر ذاته انشاء استثمارات معاونة في جميع السوفخوزات . وفي هذا المجال كان الوضع غريبا : فعشية البدء باستصلاح الاراضي البكر ، كان عدد الاستثمارات المعاونة في كازاخستان قد انخفض الى اربع مرات او يكاد . اي انهم اهملوا ما بدا لهم امرا ثانويا وهم يرسمون خططا ضخمة ويتقدمون على مشاريع جليلة .

اما «صغائر الامور»—وهنا من المفيد ايراد بعض الارقام—فكانت كما يلي : انخفض عدد الابقار في الاستثمارات المعاونة مقدار ١١ الف راس ، وعدد الاغنام ٢٨٠ الفا ؛ وتلاشى بلا اثر ٣٧٠٠ هكتار من حقول القرعيات ، و٥ آلاف هكتار مزروعة بالخضروات ، و١١ الف هكتار من حقول البطاطا كانت بلادنا لا تزال تعيش عيشة شظف ، بينما لم نكن نحصل على كميات هائلة مما كان يمكن الحصول عليه من المنتجات . فكان لا بدّ من اتخاذ الاجراءات العاجلة . اعتمدنا الاموال وخصصنا قطعا من الاراضي لاجل الاستثمارات المعاونة ، واستجلبنا الابقار الحلوبة حسنة المردود ، وبنينا المنابت المدفأة وحظائر الدواجن . واسسنا مزارع المنبيات وسجلنا منتوجها في خطط السوفخوزات ، وطلبنا بصرامة وحزم من المدراء تنفيذها . وكل هذا كان مهما سواء لتحسين تزويد رواد الاراضي البكر بالمؤن ، ام لتحسين معنويات الناس الذين كانوا يرون كيف تترتب وتتحسن المعيشة في السهب .

وبينما كنت استذكر هذه الوقائع واطالع الوثائق العائدة الى تلك السنين لاحظت انني غالبا جدا ما تحدثت عن ناحية كورغالجينو . فقد تكدرت كثيرا آنذاك بسبب سير الامور فيها ولاسيما بما رايته اثناء زيارة من زياراتي الى سولخوز «ستيبنياك» زرت هذا السوفخوز للمرة الاولى في صيف عام ١٩٥٤ ووقع نظرى على مشهد غير سارّ . في مثل هذه الضياع يدرك المرء فورا سوء حال الامور : فالناس يهرعون الى اى شخص رسمي ياتي الى ضيعتهم ويتبعونه جموعا ويتشكون . كذلك اقتربت مني امراة في الحال وشرعت تحكي بسرعة :

— ايها الرفيق المفوض ، لا اعرف من انت ولكن انتبه ، ساعد ، فليس عندنا كهرباء ، ولا وقود ، ولا كاز ايضا . اى لا شيء نطبخ عليه ، بل ولا شيء نطبخه ...

ودخلت معها الى المتجر . فلم نجد فيه حتى الملح . وخاطبتني امراة اخرى مع طفل بلهجة ليست اقل انفعالا :

— يا رفيق بريجنيف ، لا حليب ، ولا سميد قل لي : بما نطعم الاطفال ؟ اغلب الظن ان عندك انت ايضا اولاد . وانت اب ، فساعدنا .

استدعيت ممثل تعاونية التموين العمالية . فصرح هذا دون ان يرف له جفن ان السميد غير موجود يوما واحدا فقط في حين كان شارد النظرات ، وكنت ارى انه يكذب . وعدت النساء بان اسوى مشكلة الاغذية ، ولكن انعدام الحليب زاد دهشتي . فلقد كنا خصصنا للكثير من السوفخوزات المواشي لأجل الاستثمارات المعاونة ، بما فيها سولخوز «ستيبنياك» ، ثم طالبنا ببيان—كم من الابقار والخنازير والخيول والدواجن وزعوا ، ولمن ، واطمأنا واثناء طوافي بصحبة الناس طلبوا مني ان اعرج على مطعم الضيعة . وجلسنا نتحادث .

— كم من الابقار في استثماراتكم المعاونة ؟

— نحو ٥٠ راسا .

— اذن ، لا بدّ ان يكون الحليب متوفرا عندكم .

— اى حليب ؟! الابقار على بعد ٦٠ كيلومترا من هنا . ترعى في المراعي .

وفي هذه الاثناء ، عثروا على المدير كوفالنكو جاء راكضا ، وطفق يتشكى في الحال :

— مصيبة حقا وفعلا ، يا ليونيد ايليتش ! لا استطيع اقناع النساء بالعمل حلابات ! وما من احد يريد حلب الابقار .

— اذن ، ابقاركم غير محلوبة في المراعي ؟

— طبعا .

— اولا يشغل بالك ان الاطفال بلا حليب ، وان الابقار ستتضرر من عدم حلبها ؟

— وكيف لا ؟ اخاف . مستعد حتى لتحمل المسؤولية امام المحكمة . ولكنني سافعل شيئا ما ... ارسلت رسالة الى اوكرانيا ، ادعو فيها الفتيات الى مساعدتنا .

كان كل شيء واضحا فيما يخصه . وتوجهت الى النساء وسالت :

— لماذا لا تردن ان تساعدن في الامر ؟ فانتن ترين الوضع .

واخذن يهدرن :

— والاولاد ، اين نتركهم ؟ نحن هنا جميعا ذوات عائلات ، عندنا اولاد .

— حسنا ، واذا وزعنا الابقار مؤقتا على بيوتكن فهل تعتنين بها وتحلبنها ؟

— كيف لا ! سنحلبها ونسوقها الى المرعى ، بل ان رجالنا بوسعهم ايضا ان يحلبوها .

— وماذا دهاك ، يا رفيق كوفالنكو ؟ انك مستعد لدخول السجن ، اما مثل هذا الحل البسيط فلم تجده وزع الابقار على بيوت عمال السوفخوز ، فانهم سيحلبونها ويطعمون اولادهم . وفيما بعد ستتواجد الحلابات .

— لم يخطر في بالي . سافعل ...

وطفت مع المدير في الضيعة . ولاحظت ان نوعية البناء في السوفخوز اردأ مما يكون وانهم يبنون البيوت بدون اساس ، كيفما اتفق . وكان حديثي معه صارما . وحقا القول انني لم افقد الثقة بكوفالنكو لانه ظل يرد اوتوماتيكيا على اى ملاحظة : «سافعل

سافعل ...» . قلت له انى سآتى مرة اخرى من كل بد" ، واتحقق من كل شئ . ورحت مرة اخرى الى «ستيبنياك» ، فذهلت : لم يتغير اى شيء تقريبا فى السوفخوز ! تحسن حال المؤن فى المتجر والمطعم ولكن هذا هو نتيجة للتدخل فى السنة الماضية . اما فيما يخص الباقى كله ، فلم يحرك كوفالنكو ساكنا كما من قبل ، كان الحال حرجا حتى فيمـــا يتعلق بالماء ، مع انى نصحت المدير اثناء زيارتى السابقة بتركيب صهريج على سيارة شاحنة وجلب الماء فيه الى المساكن . فها هو ذا حل المشكلة . ولكن من جديد سمعت ، ردا على ملاحظاتى ، الكلمة المألوفة :

– سافعل ، سافعل ...

ان حالات العجز واللامبالاة–المذهلة ، كمـا لقد اقول–من هذا النوع كانت مـــع ذلك نـادرة فى الاراضى البكر ، رغم ان مظاهر سوء التدبير لم تكن قليلة كان من غير الجائز التسامح مع العاملين الذين يؤدون واجباتهم على هذا النحو القبيح ، الامر الذى اضطررت الى التحدث عنه خصيصا فى اقرب دورة عقدتها لجنة الحزب فى مقاطعة تسيلينوغراد . ان تحسين الظروف المعيشية انما يعنى توفير اسباب الراحة والمرافق للناس ، والعناية بهـم . وليس هذا عملا اقتصاديا وحسب ، بل ايضا وقبل كل شيء ودوما سياسة تكلف الاخطاء فيها غاليا . فبسبب الاخطاء ندفع دوما ثمنا باهظا هو ابان الحرب ارواح الناس ، وفى زمن السلم الخسائر المادية والمعنوية.

كان امر توفير الظروف المعيشية اللائقة يقتضى ان يترأس ادارات الضيـاع الواقعـــة فى السهب اشخاص لا يحرصون على تنفيذ الخطة وحسب ، بل ايضا على كل مـــا يعيش به الناس . وفى مقاطعة كوكتشيتـــاف ، كان يطيب لى ، مثـلا ، ان ازور كولخوز «كراسنوارمييتس» ، لا لأنهم كانوا يسيّرون الاقتصاد هناك بصورة معقولة وحسب ، بل ايضا لانهم كانوا يخبزون خبزا لذيذا للغايـة . ولعلى لا ابالغ اذا قلت انى لم آكل يوما وفى اى مكان خبزا الذ من خبـــز كولخوز «كراسنوارمييتس»–خبــزا منتفخا ، عاطرا . وكانت فرقة بيوتسر ايفانوفيتش نيقولايف تتوفق اكثر من غيرها فى هذا المجال وقد قال لى : «اننا نخبز خبزا تفوح رائحته على بعد كيلومتر واكثر !» . واذكر إنى طلبت ذات مرة حتى بطبخة ارغفة بغية تقديمها للرفاق فى الما–اطا وتعليم خبازى المدينة .

وعندما كنت اذهب الى البلدات كنت افرح لكل بئر جيدة ، لكل شجرة مغروسة بعنايـة . وكنت اعجب للهمّة التى كان يربى بها الزراع الغيورون الحريصون الزهور والاشجار ، واذهل احيانـــا من اللامبالاة التى يرى بها بعض الناس الى سيماء بيوتهم واحواشهم والبلدة بأسرها .

ذات مرة امضيت الليل فى قرية من ناحيـــة غالكينو السابقة بمقاطعة بافلودار (نسيت ، مع الاسف ، اسم القرية ، وكنية رئيس الكولخوز الذى نزلت عنده) . فى الصبـــاح ، خرجت الى الشارع وتجوبت فى القرية ، وتملكتنى دهشة كبيرة : كان فى القرية شارعان فقط ، ولكن فى احدهما كانت الاشجار تنتصب هنا وهناك قرب البيوت ، فى حين ان الشارع الثانى كان خاليا تماما من الاشجار ، فما الامر ؟ واذ ذاك روى لى الرئيس الحكاية التالية .

فيما مضى ، جاء الى هذه القرية من مدينة اومسك محافظ اقليم السهب الذى كان يشمل قبل الثورة منطقة السهوب الكازاخية الشمالية الحالية . جـاء وامر كل عائلة بان تغرس قرب بيتها من الاشجار بعدد افراد العائلة . بعد ثلاث سنوات ، جـــاء المحافظ من جديد الى القرية ليتحقق من تنفيذ امره فرأى الاشجار مغروسة قرب بعض البيوت بينما الارض الخلاء الغبراء قرب البيوت الاخرى كما من قبل . امر المحافظ احضار جميع السكان الى الشارع الوحيد فى القرية آنذاك وتوقيف كل عائلـــة قرب بوابة بيتها ، ثم اعطى جنديا حزاما ذا بكلة ثقيلة ومشى على طول الشارع . شكر من كانت قرب بيته اشجار وكافأه بروبل فضى . اما اولئك الذين لـــم يبالــــوا بالامر ، فقد امر بضربهم بالحزام : عدد الضربات بعدد الاشجـــار غير المغروسة . وكان المحافظ يأمر الجندى اثناء الضرب : «يـا فاسيلى اضرب بالبكلة ، بالبكلة !»

– هكذا ظهرت الاشجـار فى الشارعين ،–قال الرئيس فى ختام حكايته وضحك .

النكـات هى النكات ، ولكن الامر اقتضى آنذاك ايضا النضال فى سبيل غرس الاشجار والادغال فى السوفخوزات الجديدة . وحين اجيء الآن الى الاراضى البكر المعمرة واتجول فى ربوعهـا واسمع حفيف الحدائق الظليلة ، وارى البلدات السوفخوزيـــة غارقة فى المغروسات الخضراء ، واشجـــار التفاح والكرز والطلح والليلاك زاهرة ، والغدران وخزانات الماء التى لا عدّ لها تدمع وتستهوى وتجتذب ، وعلى ضفافهـــا المتوهجة بنور الشمس صيادو السمك يمارسون هوايتهم بصبر ، اتذكر بابتسامة قصة محافظ اومسك .

* * *

كانت الامور تقتضى ان اسافر كثيرا–احيانا فى القطار ، وفى اكثر الاحيان بالطائرة . واحيانا كانت واسطتا النقل هاتان تتعاقبان اثنـــاء جولة واحدة وهذا الجمع كان يوفر الكثير من الوقت الذى كان دائما محسوبا بدقة . وعندما كنت اتوقف مدة طويلة فى محطات التقاء السكك الحديديـــة او فى مراكز المقاطعـــات ، كانت العربة الحديدية تصبح كذلك مأوى . والى هذه النقاط ، كانت تأتى مسبقا طائرة ؛ وفى غضون يوم واحد ، كان يمكن الذهاب على متنها الى بضع نواح او سوفخوزات .

صنعت فى كييف طائرة من طراز «ان–٢» مجهزة على نمط خاص . كان على متن الطائرة جهاز لاسلكى قوى جـــدا ، وكان فى الصالون ستـــة فوتيلات واضافة على ذلك كان لدى طاقمهـــا سرير مطوى موجود دائما فى مؤخرة الطائرة . وفيما عدا ذلك كانت هذه طائرة عادية ، كدودة كمثيلاتها المعروفة لدى الجميع باسم «انطون» . ولاجل تنقلاتنا كانت هذه الطائرة واسطة نقل لا مثيل لها . فطياروهـــا اعتادوا على اختيار مكان الهبوط اثناء التحليق وكان بوسعهـم الهبوط فى السهب حيثما يطيب لهم–قرب اى تلـــم كان ، او جرار ، او مقـــام لفرقـــة زراع .

اذن ، كان كل شيء على ما يرام لولا ان التحليق على متن هذه «العربة الجوية» كان يرهقنى شديد الارهاق . لقد عودت نفسى لهذه الدرجـة او تلك على تحمل ترنحها اثناء التحليق ، ولكن ذات مـرة اصبح من نصيب ممثلينـا السينمائيين المحترمين نيقولاى كريوتشكوف ولوبوف اورلوفـا ومارينـــا لادينينا ان يعانوا من هذا الترنح . فقد جاؤوا الى الاراضى البكر لكى يفرحوا الناس بفنهم ، ولكن لم يجدوا احدا يعرضون فنهم امامه ، لأن الجميع كانوا بعيدا فى السهب . تشكوا لى :

– لقد احيينا الحفلات فى كوستاناى ، ولكننا نود لو نرى معمرى الاراضى البكر انفسهم . ساعدنا اعطنا واسطة ما للنقل .

اجبت :

– طيب ، اليكم طائرتى .

ثم قلت للطاقم :

– غدا عندى شغل فى المدينة ، اما انتم فانقلوا الرفاق الى الفرق . وحيث ترون الناس ، اهبطوا .

ونفذ الطيارون المطلوب بعلاوة . فى يوم واحد طافوا فى ناحيتين او ثلاث . كان اليوم ريّحا ، فكان ترنح الطائرة شديدا للغاية . وعاد الممثلون الى المدينة بالكاد احياء . ان كريوتشكوف ، بوصفه رجلا خبر المصاعب فى دهره ، قد صمد تماما ؛ اما الممثلتان ، فكان حالهما يرثى له . نظرت اليهما ولمت قائد الطائرة :

– اظنك تماديت فى الطيران ، يا نيقولاى ؟

– كلا . فهم انفسهم طالبوا مواصلته . يخرجون من الطائرة ، يتمددون قليلا تحت الجناح ، ثم يؤدون حفلة ، ومن جديد–هيـــا انقلنا ! انهمـــا امرأتان شجاعتان جدا :..

شكرت الممثلين ولكنى لاحظت انهم ينظرون الى الطائرة بدون غبطة الصباح . وفى بعض الايام كنا نحلق فى الطائرة فوق السهب ساعـــات وساعات وذات مرة قال لى قائد الطائرة :

– اعتقـد ان من الممكـــن تصنيفك فى عداد الطيارين . فقد طرت مائة ساعة .

– وما هو معدل الطيارين ؟

– مائة وعشرون ساعة .

– اذن ، مـن سابق الاوان تصنيفى فى عداد الطيارين .

– هذا رهن بكيفية الحســـاب . فنحن نطير بصورة غير عادية .

– كيف هذا ، بصورة غير عادية ؟

– على اى علو نحلق فى معظم الاحيان ؟ مائة متر . وكم من الوقت يستغرق الطيران المسف لكى نختار ساحة للهبوط ؟ اذن ، فى مثل هذه التحليقات من الاصح اعتبار ساعة واحدة بمثابة ساعتين .

اعجبنى طاقم الطائرة–القائد نيقولاى مويسييف الطيار المساعد موبين ابيشيف ، وميكانيكى الطائرة الكسندر كروغليكوف . وكـم من الحالات الحرجة واجهت طائرتهم الصغيرة–«البرغشة» ، كما كانوا يسمونها . ففى السهب حيث نحو ٥٠ يوما فقط فى السنة كلها بلا ريح شديدة ، كانت الطائرة الصغيرة تترنح بشدة بلا انقطاع تقريبا . وحتى على الارض ايضا لم تكن تعرف الهدوء : فغير مرة ، كانوا يأتون بسيارات شاحنة ضخمة ويربطون بها طائرتنا لكى لا تقلبها الريح وتحطمها . اقتضت الامور ان نطير على امتداد السنة كلها ، دون مراعاة للطقس فى اغلب الاحيان ، وخلافا للتعليمات احيانا . وكنـا نهبط بعد غياب الشمس وحتى فى الليل ، الامر الذى كان محظورا قطعا على «ان–٢» . ولكن الاعمال لم تكن تتفق مـــع التعليمات . ولقد كان رفاقى الدائمون طيارين ممتازين ، كما اقتنعت بذلك .

فى ذلك الوقت ، كان كثيـــرون من الطياريـن يحلمون بالسرعات الكبيرة ، بالتحليقـــات البعيدة بالطائرات النفاثة ، وكان طيارو طائرتى يرغبون فى ذلك ايضا على الارجح . ولكن مـا العمل ؟ فقد كانت من نصيبهم خدمة اخرى ، وكانوا يقومون بها بصبر واستقامة . مرة واحدة فقط شاهدتهـم فى منتهى القلق ، وحتى مذعورين . وقد كان ذلك ، ان لم اكن على خطأ ، فى سوفخوز «فرقة تامان» . طرنا الى فرقة بعيدة . وكان ذلك فى شهر ايار (مايو) والعشب قد اخضر فى كل مكـــان . وكان الطقس صحوا وتحت طائرتنـــا كان السهب منبسطا مثل الطاولة . وليس من الصعب اختيار ساحة للهبوط فى مثل هذا السهب . جرى الهبوط على مـا يرام كما بدا لى . ولكن ما كاد المحرك يتوقف ، حتى هرع قائد الطائرة الى المخرج ، مع انه كان عادة يخرج من الطائرة بعدى ، وقال :

– عفوا ...

خرجت بعده ، ورأيته يمشى بتسرع بمحاذاة الاثر الذى خلفته . عجلتا الطائرة فى العشب ، ويفتش عن شيء ما . واخيرا توقف ، ولوح بيديه ، وصاح داعيـا سواقى الجرارات الذين كانـوا يعملون فى الجوار . تجمع جمـع ؛ واقتربت انا ايضا ؛ وقال مويسييف شاحب الوجه وغاضبا :

– انظروا !

على بعد نصف متر عن اثر العجلة اليسرى كانت مسلفة متمددة فى العشب ، رافعة اسنانها الى اعلى لم يكن بوسعه فى اى حال من الاحوال ان يراهـــا اثناء التحليق ، ولم يرهـــا الا فى لحظة الهبوط بالذات . وكان من الممكن ان يؤول الامر الى مآل فاجع . وبصعوبـة اوقفت الطيارين ، الذين كانوا مستعدين لان ينهالوا على سواقى الجرارات ورئيس فرقتهم بالضرب . بديهى ان هؤلاء لم يتوقعوا هبوط الطائرة فى هذا الحقل بالذات ، ولكنه كان عليهم ان يأخذوا المسلفة وغيرها من الاعتدة بعد انتهاء الاعمال فى الحقـــل الى مكان مخصص لها ، لا ان يتركوها حيثما اتفق . ان هذه الحادثة تبيّن بجلاء ان التهاون وسوء التدبير يتاخمان دائما الجريمة .

عندمـا غادرت كازاخستان افادنى قائد الطائرة اثناء توديعى انه قام ، خلال سنتين من الطيران معى بـ٤٨٠ هبوطا فى السهب فى شتى الاماكن . وقد ابلغنى ذلك باعتـــزاز ، وقد قدرت اعتزازه هذا بوصفه طيارا . وبما انى على علم جيد بمدى مهارة هذا الطيار البارع ، فلم اطر فيما بعد ، وقد صرت امينا للجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفيتى عندما كنت اذهب الى الاراضى البكر ، الا على متن الطائـــرة التى يقودهـــا نيقولاى غريغوريفيتش مويسييف .

اذن ، جرت الامور عندنا من جديد على نحو عارم وواسع ؛ وكنت اتنقل كثيرا ، وانام نوما متقطعا وآكل حيثمـــا اتفق . وذات مرة ساءت حالى فى تسيلينوغراد . واستبعدت وعيى على النقالة .. وقبل ذلك ، كانت قـــد اصابتنى نوبـــة قلبيـــة فى سيميبالاتينسك فحملونى الى الما–آطا واضطررت لأن الزم الفراش بعض الوقت فى البيت ولان اصد هجوم الاطبـــاء الذين حاولوا ان يزجـــوا بى فى المستشفى . ولكنى عارضتهم وقلت مازحا : يكفى المرء ان يقع فى ايديكم حتى يسترسلوا فى علاجه ولكن الرئيسى ، هو انه لم يكن الوقت ملائما للمرض فقد كانت الاراضى البكر تصب علينـــا كثرة من المشاكل والامور والهموم الجديدة ، الصعبة والمعقدة احيانا ، والعاجلة دائما .

ودخلت معركة الحبوب الطور الفاصل .

– ١١ –

اود لو اتحدث بايجاز عن سياستنـــا فى مجال الاجراءات الزراعية فى الاراضى البكر . هل كان كل شيء فى عملنا خاليا من الاخطاء ؟ كلا . لا يسعنى ان اؤكد هذا . هل كنا على علم باننا نمضى الى منطقة الزراعة فيها مجازفة كبيرة بخاصة ؟ اجل ، كنا على علم بذلك ، واستعددنا سلفـــا لهذا . هل طرقت آذاننا تحذيرات العلماء بان الفلاحة الواسعة النطاق قد تحول السهب الى صحراء قاحلة ؟ طبعا ، طرقت واخذناها بعين الاعتبار . ان سياسة الحزب فى مجال الاجراءات الزراعية فى الاراضى البكر قد تلخصت اذا ما تكلمنا بايجاز ، فى التقليل باكبر درجة ممكنة من العواقب السلبية لتدخل الانسان فى طبيعـــة السهب البكر ، وفى تطبيق وترسيخ افضل الاساليب الزراعية واحدثها فى هذه الانحاء ، ثم وضـــع نظام للزراعة مكيف جيدا للمنطقة الجافة . ولكننا لم نكن نعرف ولم يكن بوسعنا ان نعرف سلفـــا اى نظام سيكون بالضبط .

هناك مثل شرقى موفق يقول من سار على الدرب وصل . وقد كتب لينين قبل الثورة يقول :

«ان الطبقة العاملة الروسية ، باعمالها الثوريـــة الحافلة بالاخطاء ، ستظفر بالحرية لنفسها وستدفع اوروبا الى الامام ؛ فدع الاخسة يتغطرسون بخمولهم الثورى العديم الاخطاء» .

الخمول العديم الاخطاء . ما اصوب هذا القول ! انه لمن اسهل الحلول ترك ثروة الطبيعة وشانها ، فاذ ذاك يمكن تحاشى اى هفوات . الا اننا مضينا الى هذه السهوب البور العريقـــة فى القدم ، ونحن مؤمنون ايمانا راسخا باقتدار العقل البشرى . وكنا على اقتناع راسخ باننا سنفلح بنتيجية عملنا الضخم والمهـــم لشعبنـــا على استصلاح الاراضى البكر ، فى ايجاد الوسائل للحفاظ على خصوبة اراضيها . وانكببنـا بادئ بدء على ايجاد هذه الوسائل الجديدة .

بعد فترة وجيزة نسبيا تخلينا عن حراثة الارض فى الربيع عشية البذر ولم نمارس سوى حراثـــة الاراضى المراحة فى ايار وحزيران والحراثـــة فى الخريف ، ونظمنا استبقـــاء غطاء الثلج فى الحقول ووفرنا مساحات كافية من الاراضى المراحة وما الى ذلك . وخلاصة القول اننا فعلنا كل شيء لأجل اداء المهمة الزراعية الرئيسية فى المنطقة السهبية الجافة وقوامها حفظ الرطوبة فى التربة . وحددنـــا كذلك مواعيد البذر والزرع ، مـــع ان ذلك لم يكن بالامر السهل . والآن ، لا يبذر احـــد فى الاراضى البكر المستصلحة قبـل النصف الثانى من شهر ايـــار (مايو) ؛ وقد غدا ذلك حقيقة اولية ، بديهية . اما آنذاك ... «ابذر فى الارض الموحلة ، تكسب !»– هذه العبارة القديمة ، الأليفة كانوا يرددونها فى كل مكان . بل ان بعض العلماء كانوا يصرّون على القيام باعمال البذر فى منطقـــة الاراضى البكر فى مواعيد باكرة .

ولكن كانت هناك وجهات نظر اخرى ، وقد بينت تجربة السنة الاولى ان الاراضى المزروعـة فى ايار (مايو) قد اعطت غلة ممتازة من الحبوب . فما الذى فعل فعله هنا–قوة الارض غير المنهكة ام مواعيد الزرع المتأخرة ؟ فى سنة ١٩٥٥ ، ازدادت مساحات المزروعات المتأخرة كثيرا ، وكان من الجلى انهـا صمدت للجفاف بصورة افضل . وكان يخيل ان كل شيء واضح ، ولكن المجادلات استمرت ، وكان من الصعب بخاصة اقناع السكان القدماء . قال رئيس الفرقة نيقولايف من كولخوز «كراسنوارمييتس» الذى ذكرته آنفا /ذاك الذى اشتهر بخبزه اللذيذ/ ، اختتم الحديث فى هذا الموضوع قائلا :

– نجرب ، طبعا ، ولكنك لا تتصور كم سيكون صعبا ردع فلاحينا عن التسرع . فمـــا ان يروا انه يمكن الدخول مع المسلفة الى الحقل الربيعى الموحل حتى يشرعون فى البذر على جناح السرعة . انهـــم اعتادوا على هذا ...

ومهما يكن من امر ، كانوا قبيل ربيع ١٩٥٦ فى كثير من الاستثمارات الجديدة يعتبرون البذر الباكر حدثا خارقا مثلما كانوا يعتبرون قبل ذاك بقليل البذر المتأخر . ولكن العادات القديمة ظلت تمارس تأثيرا قويا . وذات مرة روى لى فى موسكـــو الامين الاول للجنـــة الحزب فى ناحيـــة ايسيـــل ، اناطولى روديولوفيتش ليقولين–وهو شغيل ممتاز ، استحق ابان ملحمة الاراضى لقب بطل العمـــل الاشتراكى– كيف خالف احد المدراء عندهم مع ذلك مواعيد البذر الجديدة .

– ومن ذا الذى اقدم على هذا ، كما تظن ؟– وذكر ليقولين اسـم هذا المدير للسوفخوز –لم نحتفل بعد بعيد اول ايار (مايو) ، واذا هذا «البطل» يندفع الى مقر لجنة الحزب فى الناحية ويصيح وهو يؤدى التحيـــة العسكرية : «ايهـــا الرفيق الامين السوفخوز انهـــى البذر !» قفزت من مقعدى ... وقلت : «تبا لك ! لماذا استعجلت !» . قال انهم ارادوا ان يكونوا الطليعيين فى الناحية . «ولكنك ستخسر الغلة من جراء ذلك !» .

وهكذا كان . فقد جنت الناحية على العموم ١٦٠٠ كيلوغرام بالمتوسط من الهكتار الواحد ، بينما جنى «الطليعى» ٦٠٠ كيلوغرام فقط . هذه الحادثـــة قديمة . وبعدها اشتغل الرفيق المعنى دون ان يضن بقواه ، ولهذا لا اذكر اسمـــه . ولكن ما اصعب استئصال هذه العـادة ، عادة تقديم التقرير قبل الجميع من كل بد . اما بعد فليكن الطوفان .

والاحظ انه يحدث احيانا شرّ من ذلك : يفلحون جيدا ، يبذرون فى الموعد المناسب ؛ ولكن فيما بعد فى اطوار الحصاد والنقـــل والخزن والمعالجـــة يخسرون ثلث الغلة او يكاد . ان الحيلولة دون وقوع الخسائر هى الآن احد الاحتياطيات الرئيسية فى الزراعة ومن الجلى تماما ان صيانة المنتوج الجاهز يتطلب من الجهود والاموال اقل بكثير مما يتطلب انتاجه . اذن ، هذا السبيل مفيد ، ويتفق مع نهج الحزب الرامى الى زيادة المردود ؛ والرئيسى انه يتفق مع مصالح الشعب .

انى اكن احتراما خاصا لاولئك الذين يسيرون على خطهم فى الزراعة بمثابرة واطمئنان ، وبدون هرج وبدون ضجة وضوضاء ، ويرون دائما الهدف النهائى لقد اقتضى الامر ان نعيد النظر فى الكثيـــر من الاساليب الزراعية فى الاراضى البكر . مثلا ، كان عمق غرس البذور يتسم بنظرنا بقدر من الاهمية لا يقل عن مواعيد البذر . وليس من قبيل الصدفة ، كما تبين ، صمدت مقاطعة كوكتشيتاف كلها خيرا من جميع المقاطعات الاخرى لجفاف عام ١٩٥٥ . ففى زمن البذر ، كنت فى سوفخوز «جداتوفسكى» ، ولاحظت انهـــم يغرسون البذور على عمق اكبر من المألوف وهنا ايضا فسرّ لى امين لجنة الحزب فى المقاطعة روغينيتس «امرا تافها» .

– يعتقد مهندسنا الزراعى انه يجب غرس البذور لا على عمق ٣ او ٤ سنتمترات ، كما تنص القواعد الزراعية فى منطقة الاراضى البكر ، بل على عمق ٦ وحتى ٨ سنتمترات .

– ولكن لا يزرعون بهذا النحـــو سوى الذرة الصفراء .

من المؤسف انى لم احفظ فى ذاكرتى اسم ذلك المهندس الزراعى ، ولكنى اذكر شروحه :

– انـا ، يـا ليونيد ايليتش ، كان عندى فى السنة الماضية قطاعات اختبارية بهذا العمق للعلم لا سبيل الى اية مقارنة ! السر بسيط : الطبقة العليا من التربة تجف هنا بسرعة ؛ وما ان تمد النبتـــة جذورها حتى تتشقق التربة فى شريحتها العلويـــة وتقطع الجذور . اما عندنا ، فان الجذور تنمو وتقوى . وتأخذ الرطوبة السفلى قبل ان تجف التربة ، ومن ثم يحل موسم الامطار .

راقبت طوال يومين الاسلوب الجديد للبذر . ومن «جداتوفسكى» طرت مع هذا المهندس الزراعـى الى سوفخـــوز «تشيرنيغوفسكى» ، ثم الى سوفخوزات اخرى ، حيث عملنا على تعديل عمق غرس البذور بالمباذر ، وزحفنا فى الاتلام ، وخدشنا اصابعنا حتى ظهور آذان الاطفار ، لنتحقق من اوضاع البذور ... وبالفعل ، عندما هبت الريح الجافة ، احتفظت الحقول التابعة لهذه السوفخوزات بلونها الاخضر مدة اطول مما فى سائر الاستثمارات وكانت تبدو جزرا خضراء وسط السهب الكامد . كان هذا الامر جديرا بالاعتبار والآن تغرس البـــذور فى منطقـــة الاراضى البكر المستصلحة على عمق فى حدود ٨ سنتمترات ، خلافا لما هو عليه الحال فى الانحاء الاخرى ؛ وقد اصبح ذلك اسلوبا زراعيا مألوفا .

وهكذا كانت التجربة تتكدس حبة فحبة . ولكن الى جانب التوفيقات ظهرت بلايا جديدة . فقد اخذ يتحقق تكهن العلماء باحتمـــال تآكل التربة بسبب الريح واذكر الاعاصير الاولى فوق الحقول والاشرطة الرملية على الطرق فى مقاطعة بافلودار ، وقد شاهدتها مع امينى لجنتى الحزب فى ناحيتين الرفيقين حسننوف وكابورنييف . كانت العاصفة السوداء رهيبة ، وكان من الصعب التنفس . وبعد ذلك بفترة وجيزة ظهرت الاعشاب الطفيلية فى الحقول .

كل هذا حملنى على السفر الى مقاطعة كورغان ، الى كولخوز «وصايـــا لينين» لاتشاور مع تيرينتـــى سيميونوفيتش مالتسيف . عــرض علىّ مالتسيف حقول القمح خالية من اية نبتة طفيلية ، ثم طفق يحكى . ان هذا الرجل يتحلى بقـــوة اقناع كبيرة يكمن سرها فى التجربـــة المتكدسة خلال سنوات وسنوات ، والحكمـة الشعبيـــة والاخلاص للارض تحدث بايجاز ومجاز :

– ان المحراث ذا اللوح هـــو العدو الرئيسى للزراعة فى ظروف السهب . يجب الانتباه لظامسى عندكم . ولكن لربما ستبتكرون شيئـــا ما اجدى واحدث ؟

– يجب تقليل عدد عمليات معالجـــة التربة الى اقصى حد ! احرثوا الاراضى البكر ولكن اعزقوهـا فيما بعد اقل ما يمكن .

– الاراضى المراحة انمـــا هى الشرط الرئيسى للغلة الوفيرة فى ظروف السهب . وان تحصلوا على غلة تذكر اذا لم تكن متوفرة لديكـــم فى الاراضى البكر .

– اذن ، ظهرت فى حقولكم النباتات الطفيليـــة الضارة ؟ كان لا بد ان يحدث ذلك . ففى بعض الاماكن صاروا يحصلون على القمح مخلوطا بالزؤان وفيما بعد سيحصلون على الزؤان مخلوطا بالقمح وقد تملكت بعضهم الحيرة : ما اقوى هذا الزؤان ! ومـا العمل للقضاء عليـــه ؟ ولكنه فى الواقـــع نبتة هزيلة . انه قوىّ حيث ارباب الارض ضعفاء من المستحسن انكم قررتـــم تأخير البذر . يجب الارتقاب بعض الوقت بغية حث الشوفان البرى على النمو ثم القضاء عليه . وبعد ذلك فقط يمكن البذر والاعصاب يجب ان تكون قوية . فذاك اعصابـــه ضعيفة لا مكان له فى الزراعة ...

انفسحت لى امور كثيرة . ولكن قد يسألنـــى القارئ : ما دام الحال هكذا فلماذا لم تنتشر التجربة النافعة فى عموم الاراضى البكر على الفور ؟ اجيب : هناك عـــدو ارهب للارض من المحراث والنبتـــة الطفيلية ، هو فرض شتى «التوصيات» عليهـــا لقد كانت هذه «التوصيات» متعددة ، وكانت قـــد كلفت البلاد غاليا ، الى حد يجعل المرء يـــدرك ان اسلوب الاوامر فى مجال الزراعة امر مناف لهـــا بحكم طبيعتها . ومع انى كنت ارغب شديد الرغبة احيانا–واعتـــرف بذلك–فى «الاسراع بـــالامر» و«الضغط» ، كنت اردع نفسى عن ذلك . كان ينبغى ان نتيح للعاملين امكانية تفحص الامور ومعالجتها بانفسهم لكى تتبلور من خلال ذلك خبرة جماعيـــة مشتركة .

وبالطبع ، طلبت من الصحفيين ان ينشروا مزيدا من المواد المخصصة لمنجزات افضل السوفخوزات واهتممت بعقد ندوات تبادل التجربة ، واجـريت مداولات فى اللجنة المركزية ؛ وقد رأينا من اكبر المهام شأنا انشاء شبكة من المؤسسات العلميـــة وطرحنا عليها مهمة دراسة الخبرة السوفييتيـــة والاجنبية ، وايجاد طرائق موثوقة لمكافحة تآكـل التربة . ولا بدّ لى من التنويه بالعمل الكبير الذى قام به فريق من العلماء على رأسه الرفيق بارايف الحائز حاليا على جائزة لينين . فانى اتذكر حتـــى الآن مدى جهده والحاحه على الذود عـــن ضرورة «الارواء الاضافى» اى عن ضرورة الاراضى المراحة وليس من قبيل الصدفة ان نظام وقاية التربة قد رأى النور فيما بعد فى منطقة الاراضى البكر الكازاخية بالذات .

ولقد بذلنا قصارى جهدنا للذود عـــن ضرورة الاراضى المراحة . وفى هذا الصدد اسوق وثيقـــة جديرة بالاهتمام . كانت تجرى فى مكتبى مداولـــة للاختصاصيين . كان ذلك فى ٩ حزيران (يونيو) ١٩٥٥ ، اى حينما بلغ الجفاف اوجه . كان القيظ لا يطاق وكانت الشمس تبيد الغلال ؛ ولكن الحديث دار حول المستقبل ،–اى حول خطة تطوير الزراعة فى كازاخستان طوال خمس سنوات . اليكم قسما من المحضر الاختزالى يبيّن كيف طرحت المسألـــة آنذاك :

«الرفيق ملنيك (وزير الزراعة فى الجمهورية) : والآن اتناول الدورة الزراعية . نظرا لادخال ملايين الهكتارات من الاراضى البكر المستصلحة فى الدورة الزراعية ، سنخصص مستقبلا للاراحة مساحـــات كبيرة من الاراضى المحروثة . اننا ملزمون الآن بان نزرع هذه الاراضى الجديدة قمحا خلال ثلاث سنوات على التوالى ، ولكننا سنشرع فى السنة الرابعـــة باراحتها . واذا خصصنا لهذا مليونا ونصف مليون من الهكتارات فقط فى السنة ، كما يقترحون علينا فاننا لن نفلح لحد عام ١٩٦٠ فى تطبيق نظـــام الاراحة الا فى سدس جميع الاراضى المحروثة . هذا سيئ جدا من وجهة نظر علم الزراعة . وحتى اذا وجدنا قبل عام ١٩٦٠ زهاء مليونين آخرين مـــن الهكتارات من الاراضى البكر لأجل ترصيع الرقـــع المحروثة ، فانه ينبغى لنا على كل حال ان نقلل بعض الشيء فى الحسابات الحالية لعـــام ١٩٦٠ مساحة الاراضى المحروثة المعدة لزرع الحبوب . فهكذا فقط نستطيع ان نؤمن تسيير الزراعة على نحو رشيد وينبغى لنا ان نفعل هذا باى ثمن كان . والا فاننـا سنلحق ضررا بالارض منذ الدورة الزراعية الاولى بالذات !»

الرفيق بريجنيف : ومن يجادل في هذا ؟

الرفيق ملنيك : يجادل قرار اللجنة المركزية للحزب الشيوعي في كازاخستان ومجلس وزراء الجمهورية حيث ورد رقم آخر بشأن الحبوب والمقصود تعديل هذا القرار المتخذ سابقا ، لانه عندما جرى اعداده لم يكن بوسعنا بعد ان نراعي الكثير من الامور بدقة .

الرفيق بريجنيف : فيما يخص الاراضي المراحة يجب عرض المسألة بمزيد من الوضوح . اني افهم اننا وقعنا في مأزق لحد ما . فهل هذا يمت بصلة الى قرارنا المعني ؟

الرفيق ملنيك : اجل ، فهو يقيّدنا .

الرفيق بريجنيف : يجب الانطلاق من العقلانية الاقتصادية . لا بدّ من حساب جدي ، دقيق ، سليم تمليه ظروف تسيير الزراعة . ويتبين الآن ان علينا ان نمضي قدما في منطقة الرطوبة المنخفضة في الارض الاسوأ نوعية . واظن انه يمكن القبول من باب التخمين باننا سنجد زهاء مليونين اضافيين من الهكتارات . ولكن ماذا سيحل بالمحصول الاجمالي ؟ الا تتمادون في تخصيص الاراضي للاراحة؟

الرفيق ملنيك : كلا ، لا نتمادى . كل شيء تم وزنه والاتفاق بشأنه مع المقاطعات .

الرفيق اريستالبكوف (نائب وزير السوفخوزات في الجمهورية) : يجب زيادة مساحة الاراضي المراحة الى مستوى ١٦–١٨٪ . وفي هذه الحال سنتمكن من اداء المهمات المقترحة .

الرفيق بريجنيف : ولكن ما هو الحاصل مع ذلك ؟ اذا كانت نسبة الاراضي المراحة ستساوي مثلا ، ١٧٪ كمعدل لعموم جمهوريتنا فهلا تضمن المحصول الاجمالي المطلوب ؟ واني لانبهكم الى ان دور كازاخستان ، فيما يخص المحصول الاجمالي دور خاص ، استثنائي . ولذا سيتابع الحزب والحكومة هذا الامر بصرامة . لا يجوز ان نتأرجح من رقم الى آخر . من المؤكد انه لا بدّ من توافر الاراضي المراحة ، ولكن كم ؟ كم كانت مساحتها قبل البدء باستصلاح الاراضي البكر ؟

الرفيقة اندريانوفا (رئيسة مصلحة شؤون العلم بوزارة الزراعة في الجمهورية) : في عام ١٩٤٠ كانت نسبتها ١٨٪ . والاراضي المراحة انما هي بالنسبة لمنطقتنا اساس الزراعة . وفضلا عن ذلك ، اريد ان انوه بالاعشاب المعمرة . واني اقصد النواحي المتعرضة لتآكل التربة بفعل الريح ففيها يجب ان نقدم على دورة زراعية ابطأ وزرع الاعشاب بصفتها مثبّتا للتربة . ولكن هذا الاعتبار ليس واردا في الحسابات . والى جانب الدورة الزراعية التي تقدم بها مالتسيف يجب ان نطبق دورات تتضمن زرع الاعشاب المعمرة .

الرفيق بريجنيف : انه لامر حسن ... ولكن ما سيكون حاصل زرع الفصفصة هذه السنة في مقاطعة بافلودار، مثلا؟ لا اعشاب ولا تثبيت للتربة.

الرفيقة اندريانوفا : في هذه المقاطعة لا يتعاطون زرع الاعشاب ، ولكنهم سيضطرون الى ذلك . والا فان التآكل في المقاطعة سيكون اشد مما في اي مكان آخر . ان التآكل بفعل الريح سيمسي عندنا بلية رهيبة اذا لم نشرع الآن بالذات في اتخاذ اجراءات الوقاية . ويجب ان تنعكس هذه الاجراءات في خططنا وحساباتنا المعدة لخمس سنوات .

الرفيق بريجنيف : اني موافق معك . من الواضح انه يجب التنويه صراحة في مذكرتنا الى اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي والى الحكومة بان انتاج الحبوب في الجمهورية سيبلغ مستوى كذا ثم يتوقف عنده . وهذا مفهوم تماما . فاننا سنستصلح خلال سنتين ١٨ مليون هكتار وسنزرع الارض قمحا ثلاث سنوات على التوالي ولكن لا يجوز ان يستمر الحال على هذا المنوال ان الرقم الذي سجلناه من قبل على سبيل التقريب انما كان رقما اعتباطيا ، عبارة عما توخيناه . فيما بعد ، سنتمكن من النهوض الى المستوى المرسوم بفضل استصلاح مساحات اضافية من الاراضي البكر واستثمارها ، وليس عن طريق ارهاق التربة .

الرفيق ملنيك : ليس لدينا متسع من الوقت لتحرير المذكرة . فثمة يومان او ثلاثة فقط .

الرفيق بريجنيف : ليتراس امين اللجنة المركزية فاضل قربيجانوفيتش قربيجانوف هذا العمل ويجمعكم جميعا عنده ، واعدوا صفحة اثر صفحة ليل نهار .

الرفيق ملنيك : في هذه الحال سنضطر الى اغلاق ابواب الوزارة .

الرفيق بريجنيف : ان هذا العمل لعلى درجة من الاهمية بحيث يبرر اي جهد تبذله لتحقيقه . مذكرة قصيرة وسهلة على القراءة . الارقام والاستنتاجات فقط . لا تعقدوا ، لا تتفلسفوا ، اذ يجب ان يكون كل شيء دقيقا وواضحا» .

وضعت المذكرة وارسلت الى موسكو . وقد اكد الزمن صواب حساباتنا .

في شباط (فبراير) ١٩٥٦ ، استطعت في المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي السوفيتي ان ابلغ الحزب باعتزاز ان قضية استصلاح الاراضي البكر قد تكللت بالنجاح . ففي بحر سنتين ازدادت مساحة الاراضي المزروعة في الجمهورية الى ٢٧ مليون هكتار . وقد خصصنا لزرع الحبوب ٢٣ مليون هكتار ، منها ١٨ مليون هكتار لزرع القمح اي ما يوازي اربعة اضعاف المساحة المخصصة له قبل استصلاح الاراضي البكر . وباسم جميع معمري الاراضي البكر اكدت للمؤتمر ان كازاخستان تستطيع ان تنتج مليار بود من الحبوب واكثر .

وبما انني كنت ابعد من ان احسب ان كل الامور قد انجزت وجميع المصاعب قد ولت ، استطردت قائلا :

– ان المنظمة الحزبية في كازاخستان تدرك ان زيادة المردود هي الآن ، وقد بلغت مساحة الاراضي المزروعة في الجمهورية مستوى ٢٧ مليون هكتار احتياطينا الرئيسي من اجل زيادة انتاج الحبوب لاحقا وفي هذا المجال لا نزال نواجه نواقص كثيرة . ونظرا لاستصلاح الاراضي البكر يصبح وضع نظام للزراعة يراعي الخصائص المحلية لكل سوفخوز وكولخوز سعيا وراء افضل انتفاع بالارض ووراء الحفاظ على خصوبتها ، امرا لا يقبل التأجيل . وهذا عمل كبير ومعقد ؛ ونحن نستعين باكاديمية العلوم في الاتحاد السوفيتي والاكاديمية السوفيتية للعلوم الزراعية باسم لينين ووزارة الزراعة ووزارة السوفخوزات في الاتحاد السوفيتي من اجل اداء هذه المهمة البالغة الشأن ، وفي سبيل السير الى النهاية الموفقة بهذه القضية العظمى ، قضية استصلاح الاراضي البكر .

في عام ١٩٥٦ ، دقت ساعة التوفيق والنصر في الاراضي البكر . فـان المحصول في السهوب الكازاخية كان وفيرا للغاية ؛ وعوضا عن الـ٦٠٠ مليون بود الموعودة ، قدمت جمهورية كازاخستان للدولة مليار بود مـن الحبوب . ولقد شعرت بالسعادة حقا وفعلا عندما كوفئت كازاخستان في العام نفسه بوسام لينين لاول مرة لقاء المليار الاول من بودات الحبوب المحصّلة في الاراضي البكر المستصلحة ، لقاء هذا المليار الاول بالذات الذي اكتسبت الاراضي البكر المستصلحة بفضله مكانة راسخة لم تستطع ان تزعزعها فيما بعد لا الكوارث الطبيعية ، ولا القرارات الاعتباطية التي ضاعفت فعل هذه الكوارث .

ولكني لم استطع ، ويا للاسف ، ان اشاهد بام عيني ذلك المحصول الوفير الذي بذلت في سبيله الكثير من الجهود والقوى . ففي المؤتمر العشرين انتخبت من جديد امينا للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي .

وفي المساء ، جاء كونايف وساتبايف وجورين وماكارين وغيرهم من الرفاق من كازاخستان الى فندق «موسكو» الذي نزلت فيه آنذاك ، لأجل تهنئتي وجرى الفراق في جو من العجلة ، الا انه كان فراقا طيبا وكئيبا نوعا . فقد كانوا مسرعين في العودة الى كازاخستان ، اما انا فكنت افكر في عملي الجديد ولكني اريد ان اقول اني شعرت بالحزن والاسى لفراق الاصدقاء ، والسهب الذي احببته ، ومعمري الاراضي البكر الاعزاء عليّ .

-١٢-

ولحسن الحظ لم يكن هذا الفراق طويلا بالنسبة لي . فان الاراضي البكر التي غدت ملحمتها مرحلة عزيزة ومهمة للغاية في حياتي ، ظلت تشغل بالي وتحرك مشاعري على الدوام ، وتجتذبني اليها . وبعد حقبة قصيرة تمت بصلة الى عملي الجديد ، عدت من جديد الى هموم الاراضي البكر . ومن عـداد اشغالي الكثيرة في منصب الامين العام للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي ، كان دعم نظام حماية التربة في الاراضي البكر ، هذا النظام الذي وضعه العلماء السوفيتيون برئاسة بارايف . وهذا النظام ساري المفعول الآن ، وقد حمى الاراضي البكر المفلوحة من التآكل بفعل الريح . ولقد استطعنا ان نطبقه في آجال قصيرة في رقعة شاسعة من الاراضي بما في ذلك في المناطق السهبية الاخرى من بلادنا مدعّمين توصيات العلم بمنجزات التكنيك .

والآن ايضا اهتم دائما بالاراضي البكر المفلوحة وغالبا ما اذهب الى كازاخستان . وبوسعي ان اقول اني ارى الآن هناك ان حلمي وحلم مئات الآلاف من التسيلينيين قد تحقق في الواقع .

ومن المؤكد ان ليس كل ما يمكن تحقيقه في السهوب البكر قد تحقق ، وان الاحتياطيات لا تزال هائلة هناك . ولكن هذا موضوع حديث خاص . اما الآن ، فاني اريد ان اتناول ما تحقق ، ما يبعث على الانشراح والدهشة .

ان استصلاح الاراضي البكر في كازاخستان لم يكن انجازا ضخما وحسب ، بل كان كذلك عملا مفيدا من الناحية الاقتصادية . واني اسوق ارقاما تثبت هذا . في غضون السنوات الاربع والعشرين المنصرمة ، باعت كازاخستان للدولة اكثر من ٢٥٠ مليون طن من الحبوب اي ١٥,٥ مليار بود ! وفي الوقت نفسه بلغت جميع النفقات على زراعة كازاخستان–وانبه الى ذلك خصيصا : على فرع الزراعة كله وليس على استصلاح الاراضي البكر وحده–٢١,١ مليار روبل ، من عام ١٩٥٤ الى عام ١٩٧٧ ضمنا . وفي هذه الحقبة نفسها بلغ مقدار ضريبة التداول المحصّلة من بيع الحبوب ٢٧,٢ مليار روبل ؛ وهذا يعني ان البلاد حصلت على ٦,١ مليارات روبل من الربح الصافي . هذا مع العلم ان مجمل قيمة الاموال الثابتة والاموال الدائرة في السوفخوزات والكولخوزات الكازاخية يبلغ اليوم ١٥ مليار روبل ، اذن ، تم التعويض في اقصر الآجال عن جميع الجهود والنفقات ؛ وفضلا عن ذلك ، عادت هذه الجهود والنفقات بربح . تلك هي الحصيلة الموفقة التي اسفر عنها النصر في اكبر معركة من اجل الحبوب في تاريخ البشرية الاقتصادي ! ولقد تبين ان السهب القديم اشبه بالصناديد والعمالقة وبعد ان استصلحه الانسان بكدحه ، اضفى مزيدا من القوى والاستقرار على كل زراعتنا ، ووفر ضمانة جني الحبوب بالمقادير اللازمة . وهذه الارض تزداد قوة اكثر فاكثر .

حلقوا بالطائرة فوق رحاب السهب ، فانكم لن تروا حقول الحبوب وحسب ، بل ايضا الطرق المزفتة والبلدات ، والسكك الحديدية ، وخطوط نقل الطاقة الكهربائية وعمارات صوامع الحبوب ، والمصانع والمعامل الكبيرة ، والمدن . وكل هذا قد ظهر الى الوجود ، في قطر السهب المعشوشب سابقا ، بفضل قمحه الوفير الغلال .

اذكر ، مثلا ، ما كانت عليه مدينة اكمولينسك عندما رايتها للمرة الاولى - بيوت صغيرة طينية واطئة ، شوارع ضيقة ، ثمانون الف نسمة ... اما الآن ؟ ففي هذه المدينة التي اسميت تسيلينوغراد ازداد عدد السكان الى ثلاثة اضعاف ؛ وقد تجددت اعيد بناؤها كليا تقريبا ؛ وفيها الآن عشرات من المؤسسات الصناعية ، واربع مؤسسات للتعليم العالي ، و١٥ مدرسة ثانوية مختصة ، اعدت في السنوات الثلاث الاخيرة وحدها ، مثلا ، اكثر من عشرين الفا من الاختصاصيين .

لقد اصبح استصلاح الاراضي البكر حافزا قويا لتطور القوى المنتجة في كازاخستان ولتنامي اقتصادها وعلمها وثقافتها . وظهرت مراكز صناعية كبيرة للغاية ، ونشأت وتنامت ٩٠ مدينة جديدة بما فيها مدن رودني وايكيباستوز ويرماك وكنتاو واركاليك وشفتشنكو المعروفة في عموم الاتحاد السوفيتي . وتستخرج وتنتج كازاخستان الفحم والبترول والحديد الصب والفولاذ والمعادن غير الحديدية والاسمدة المعدنية واحدث الآلات-الادوات والآلات والجرارات . واليوم لا يدهش احدا واقع انه جرى في كازاخستان ، المتأخرة سابقا ، تشغيل مفاعل عامل بالنوترونات السريعة .

وفي كوكبة الجمهوريات الشقيقة ، تشع الآن نجمة كازاخستان بمزيد من السطوع . ولقد سار تطور الجمهورية، سنوات ومراحل من خمس سنوات ، الا ان مناقشة مقومات هذا التطور ورسم اتجاهاته و«تخميره» قد جرى قبل ذلك بكثير . فان الكثير من السيماء الحالية لهذه الارض قد تبدى فيما مضى منذ نحو ربع قرن ، عندما اخذ العلماء والباحثون والمخططون والمصممون يترددون على مكتبي في اللجنة المركزية ، الامر الذي كان يتطلب كذلك الانتباه والوقت والقوى .

وهل من داع الى التحدث عن مبلغ سعادتي حاليا وانا ارى ما يلي : لقد نشأت في هذا القطر مجموعة زراعية صناعية هائلة اثرت تأثيرا قويا على تطور اقتصاد بلادنا باسره . امـا ملحمة استصلاح الاراضي البكر في هذا القطر فقد بينت للعالم باسره مرة اخرى ما يتصف به المواطنون السوفيتيون من سجايا اخلاقية في منتهى النبل . ولقد اصبحت هذه الملحمة رمزا للتفاني في خدمة الوطن ، وانجازا عظيما من انجازات عهد الاشتراكية .

ترجمة الياس شاهين

الاتحاد السوفيتي – الولايات المتحدة الاميركية :
تطوير التجارة من متطلبات العصر

عقدت في موسكو الدورة السابعة للجنة السوفيتية الاميركية لشؤون التجارة والجلسة السادسة للمجلس الاقتصادي والتجاري الاميركي السوفيتي وقد تم ذلك نتيجة اقرار الطرفين بالضرورة الموضوعية لاقامة علاقات تجارية واقتصادية طبيعية بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي .

وقد جاء الى موسكو لغرض الاشتراك فيهما المئات من رجال الاعمال في الولايات المتحدة وكذلك بلومنتال وزير المالية والسيدة كريبس وزيرة التجارة اللذان حملا رسالة من الرئيس الاميركي كارتر الى ليونيد بريجنيف رئيس هيئة رئاسة السوفيت الاعلى للاتحاد السوفيتي السكرتير العام للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي .

ان الاتحاد السوفيتي يسعى مخلصا لاقامة علاقات تجارية مع الولايات المتحدة على اساس التكافؤ والنفع المتبادل وهذا ما اكده ليونيد بريجنيف مجددا خلال استقبال بلومنتال وكريبس في الكرملين . ومن المعروف ان وضع التجارة السوفيتية الاميركية ليس جيدا اذ تقلصت في السنوات الاخيرة بمقدار الثلث وما زالت تواصل السير في نفس الاتجاه ويتحمل الجانب الاميركي مسؤولية ذلك بسبب التدابير التمييزية التي يتخذها تجاه الاتحاد السوفيتي وقد حاولت الولايات المتحدة باتخاذها هذه التدابير ان تمارس ضغطا سياسيا على الاتحاد السوفيتي وأن تتدخل في شؤونه الداخلية . وهذا هو السبب الذي دعا بريجنيف الى التأكيد اثناء المقابلة مع الوزيرين الاميركيين على انه اذا كان الجانب الاميركي راغبا ومستعدا فعلا لتسوية وضع العلاقات السوفيتية الاميركية ودفعها الى امام نحو طريق التعاون البناء وخلق جو الثقة المتبادلة فانه سيجد في شخص الاتحاد السوفيتي شريكا يعتمد عليه في هذا الامر . واثنـاء اللقاء مع هاريمان الشخصية الاميركية السياسية والاجتماعية المعروفة اشار القائد السوفيتي لدى تناوله العلاقات السوفيتية الاميركية الى ضرورة الانتهاء باسرع وقت من اعداد وعقد اتفاقية جديدة حول الحد من الاسلحة الهجومية الستراتيجية باعتبارها مهمة ملحة من الدرجة الاولى .

ان اقوال بريجنيف هذه قد برهنت مرة اخرى على ادراك الاتحاد السوفيتي العميق لاهمية قضية تحسين العلاقات الدولية بين البلدين ، سواء من وجهة نظر مصالحهما الخاصة ، ام من وجهة نظر مصالح السلام . وقد اكد ليونيد بريجنيف اثناء مادبة الغداء التي اقامها على شرف اعضاء الجلسة السادسة للمجلس الاقتصادي والتجاري الاميركي السوفيتي قائلا : انها لحقيقة واضحة ان السلام والامن وسعادة شعبي بلدينا ، بل والسلام في العالم كله ، اي حياة ملايين البشر على الارض تتوقف بهذه الدرجة او تلك على العلاقات الطبيعية والتفاهم بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الاميركية» .

واعرب اليكسي كوسيغين ، عضو المكتب السياسي للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي ، رئيس مجلس وزراء الاتحاد السوفيتي عن الموقف السوفيتي اثناء تبادل الاراء مع دافيد روكفلر رئيس «تشيز مانهاتن بانك» حول مسائل التعاون الاقتصادي والتجاري بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة .

ان مجيء فريق كبير من رجال الاعمال الاميركيين الى موسكو وكذلك عضوين في الحكومة وتصريحاتهم ، تشهد على انهم يدركون بوضوح في الولايات المتحدة نفسها ، بطلان محاولات الاضرار بعلاقات العمل مع الاتحاد السوفيتي . لقد ايد الوزيران بلومنتال وكريبس وهاريمان الشخصية الاميركية المعروفة ، وفيريتي ، احد رئيسي المجلس الاقتصادي التجاري الاميركي السوفيتي ، رئيس مجلس ادارة شركة «ارمكو ستيل كوربوريشن» وغيرهم ايدوا ، بالاجماع تطوير التعاون الاقتصادي التجاري بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي . ومما له دلالته قول السيدة كريبس التي اكدت في كلمتها الجوابية اثناء مادبة الغداء في الكريملين : «ينبغي علينا ان نرى الهدف الرئيسي .

وهذا الهدف ليس التجارة وحدها ، رغم ما للتجارة من اهمية بالغة ، فالهدف الحقيقي هو سعادة شعبي بلدينا . ويقع على عاتق الطرفين واجب الالتزام بتقريب هذا الهدف ، وعلينا ان نضعه امام اعيننا من اجل خير البشرية كلها» وطالب فيريتي بتذليل العقبات القائمة امام طريق تطوير التجارة الاميركية السوفيتية ، وعارض محاولات ربط التجارة باعتبارات سياسية .

ولن نبالغ اذا قلنا ان الاجتماعات التي جرت في موسكو للهيئات المدعوة الى مساعدة تطوير العلاقات الاقتصادية والتجارية بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي تتمتع باهمية ايجابية بالغة .

ففي قرار الجلسة السادسة للمجلس الاقتصادي والتجاري الاميركي–السوفيتي تم الاقرار بضرورة اتخاذ اجراءات ملموسة من اجل توسيع التجارة بين البلدين . ان اوساط رجال الاعمال في الولايات المتحدة تحيي نتائج لقاء موسكو هذا وتشير صحيفة «كريستشين ساينس مونيتور» في هذا الصدد الى ان الغاء تعديل جاكسون–فانيك التمييزي سيساعد ليس فقط على توسيع التجارة بدرجة ملحوظة ، بل وكذلك على زيادة التشغيل وتقليص العجز الكبير في الميزان التجاري الاميركي .

بوريسوف

الصلات الاجتماعية السوفيتية الليبية

تلبية لدعوة اتحاد الجمعيات السوفيتية للصداقة زار الاتحاد السوفيتي وفد جمعية الصداقة العربية الليبية السوفيتية برئاسة سيد نصير ، عضو قيادة الجمعية .

وقد اطلع الوفد على تركيب جمعية الصداقة «الاتحاد السوفيتي–ليبيا» وعلى نشاط مجلس ادارتها واللجان الاجتماعية .

وقد استقبل الوفد ديمتشنكو رئيس مجلس ادارة جمعية الصداقة «الاتحاد السوفيتي–ليبيا» ، نائب رئيس مجلس وزراء جمهورية روسيا الاتحادية وتوقفت اثناء المحادثة اتفاق التعاون بين جمعيتي الصداقة في البلدين واعرب الجانبان عن الاعتقاد بان مواصلة تمتين العلاقات بين الاوساط الاجتماعية السوفيتية والليبية ، سيساعد على تعميق التفاهم المتبادل والصداقة بين شعبي الاتحاد السوفيتي والجماهيرية العربية الليبية الشعبية .

فيكتور ياكولين
السكرتير المسؤول لجمعية الصداقة «الاتحاد السوفيتي–ليبيا»

تعليق على الاحداث الدولية

حلف الناتو يزيد الاسلحة

اختتم في بروكسل «اسبوع الاطلسي» الذي عقدت خلاله طائفة من الاجتماعات للقادة العسكريين والسياسيين لحلف شمال الاطلسي وانتهت تلك الاجتماعات بدورة مجلس الحلف على مستوى وزراء الخارجية .

لقد اجتمع قادة الحلف في الوقت الذي تؤثر فيه عملية الانفراج الدولي تأثيرا طيبا في اوروبا وفي سائر ارجاء العالم ، وحين تنتظر الاوساط الاجتماعية مواصلتها وتثبيتها . ولم يستطع المشاركون في دورة مجلس الحلف في مثل هذا الجو التغاضي عن المشاكل الدولية الكبرى . فقد اعربوا عن ارتياحهم للتقدم في المفاوضات السوفيتية الاميركية حول الحد من الاسلحة الهجومية الاستراتيجية ، واشاروا الى اهمية مباحثات فيينا حول التخفيض المتبادل للقوات المسلحة والاسلحة في وسط اوروبا ، حتى انه خصص في البيان المشترك حيز لكلمات مثل «تحسين العلاقات بين الشرق والغرب و«نزع السلاح» ، بيد ان قادة الحلف لم يفعلوا شيئا غير التصريحات العامة .

لقد وجه كل اهتمام المشتركين في «اسبوع الاطلسي» الى مخططات مواصلة زيادة القدرة العسكرية للحلف . لقد انفقت البلدان المنضمة الى الحلف في العام الماضي ١٧٨ مليار دولار على الاغراض العسكرية ، وهي اذ تنفذ قرارات دورة واشنطن اكدت في بروكسل عزمها على زيادة الميزانيات العسكرية بنسبة ٣ بالمائة كل عام .

وتقرر الاسراع في تحقيق «برنامج الدفاع» الطويل الامد ، وزيادة كمية منظومات الصواريخ والدبابات والطائرات وشراء منظومة الانذار الجوي والمراقبة التي تبلغ قيمتها مليارى دولار .

وتعترف الصحافة الغربية بان بعض البلدان الاعضاء في الناتو وخاصة البلدان الصغيرة لا تبدي رغبة في الانفاق وفقا لمتطلبات الحلف لتشير صحيفة «فرانكفورتر الغيماينه» الى «الارتياب بصدد ان حلف الناتو يتطلب نفقات مالية كبيرة» . ومن اجل اقناع الذين يبدون شكوكا يلجأ قادة الحلف الى الاكاذيب حول «الخطر من الشرق» و«تخلف» القوات المسلحة لحلف شمال الاطلسي» .

ولقد ظهرت في بروكسل شهية الحلف العدوانية بشكل سافر للغاية ، فنوقش خلف الابواب المغلقة الوضع في ايران وفي الشرق الاوسط ، وبحثت لاول مرة في تاريخ «اسابيع الاطلسي» مسألة اعداد خط سياسي لحلف ناتو ازاء الصين .

لقد بينت دورة مجلس حلف الناتو المنعقدة في بروكسل ان هذا الحلف ينهج خط زيادة الاسلحة ونسف اسس السلام والامن في اوروبا .

ايران : اسباب الازمة

لا تزال موجة الاضطرابات والتظاهرات الشعبية تعم ايران ، وعلى الرغم من الحظر يخرج العشرات ومئات الالوف من الناس الى الشوارع مطالبين بتحولات سياسية واجتماعية واقتصادية جذرية وتقتحم قوات الجيش والبوليس النار على المتظاهرين العزل من السلاح ، وتدل معطيات المعارضة على ان الوف الاشخاص قد استشهدوا بالرصاص .

واكتسبت التظاهرات ضد النظام القائم نطاقا واسعا في شهر محرم بشكل خاص ، غير ان الاحتجاج لا يبرز فقط في المظاهرات التي تحمل طابعا دينيا ، فتحمل مظاهرات الجماهير الشعبية في ايران طابعا سياسيا بشكل واضح ، ويستمر اضراب عمال النفط ، وانخفض استخراج النفط بمقـدار مرتين ، وشملت الفروع الاخرى من الاقتصاد .

اين تكمن اسباب هذه الاحداث المأساوية ؟ ان الدوائر الاميركية تتحسر حينما تحللها ؛ فقد تبين ان الولايات المتحدة الاميركية لـم تكن يقظة النظر ، وان المطلوب في كسبيل ذلك هو ادارة الاستخبارات المركزية التي لم تقدر استياء الجماهير من نظام الشاه ولم تبلـغ عن الخطر المحيق . وهكـذا نرى ان الولايات المتحدة الاميركية لا تنظر الى ايران كبلد ذي سيادة مع مشاكله المعقدة . فهي بالنسبة لها ليست سوى حوض للنفط تغترف منه الولايات المتحدة عشر براميل النفط التي تستوردهـا ، وليست سوى زبون غني يشتري السلاح الاميركـي (اشترت ايران من الولايـات المتحدة اسلحة بقيمة ٨ مليارات دولار وطلبت اسلحة بقيمة ١٢ مليار دولار) ، وليست سـوى «حارس للاستقرار» في منطقة هامة بالنسبة لواشنطن . وهل ثمة مايدعو الى الدهشة حينما تعلن الشخصيات الرسمية في الولايات المتحدة عن «دعمها مائة بالمائة» للحكومة الايرانية وتتدخل عن طريق القنوات المختلفة في احداث ايران كي تدعم النظام المهترئ ؟

وبالمناسبـة تكمن اسباب الاضطرابات في استياء الشعب العميق من وضعه . لتصف مجلة «بزنيس ويك» ايران بانها بلد «الآمال التي لم تحقق» . فالمليارات التي عاد بها النفط لم تعط الشعب ما كان ينتظره : تحسين حالته المادية الى حد كبير ، الحقوق السياسية ، تحرير البلد من ربقة الاجانب . وانفقت اموال هائلة على شراء الاسلحة او سرقتهـا الزمرة الحاكمة ، وازداد ارتباط البلد بالاحتكارات الاجنبية وبالدرجـة الاولى الاميركية .

لقد اندلع الوقود الذي اختزن عشرات السنين ولا تستطيـع ان تضلل احـدا الافتراءات الاستفزازية لوكالات الاستخبارات الاميركية حول «تدخـل السوفيتيين» فالشعب الايراني يريد ان يقرر مصيره بنفسه . ولن يسمح باي تدخـل اجنبي مهما كانت فكرته مغرية بالنسبة للولايات المتحدة .

انتخابات تحت فوهات الرشاشات

انتهت المسرحية المشينة التي اعدتها السلطات العنصرية لجمهورية افريقيا الجنوبية في ناميبيا لقد اجبر الافارقـة تحت فوهات الرشاشات على التصويت لتحالف تورنهاله الديمقراطي وهو التجمع السياسي الذي انشأته بريتوريا للسكان البيض والشخصيات العميلة من زعماء القبائل والبرجوازية الافريقية .

ومنذ البداية اعلنت هيئـة الامم المتحدة والمجتمع الدولي باسره عن عدم الاعتراف بنتائج الانتخابات المزورة . وليس يخاف على احد انها انظمت من اجل ان ياتي الى السلطة نظام عميل مطيع لسلطات بريتوريا ، والاعلان عن الاستقلال الصوري للبلد ، وبذلك ابقـاء ناميبيا في فلك الغرب السياسي والاقتصادي ، واستثمـار ثرواتها الطبيعية واستخدام اراضيها بمثابة رأس جسر لاعمال عدوانية جديدة ضد الدول الافريقية المستقلة .

ولهذا رفضت جمهورية افريقيا الجنوبية بكل صفاقـة مطالب هيئة الامـم المتحدة باجراء الانتخابات تحت رقابة هذه المنظمة الدوليـة وتجاهلت خطة تسليم السلطة في ناميبيا لممثل شعبها الحقيقي والتي ايدها مجلس الامن ، ولهذا ايضا يسعى العنصريون الى ابعاد المنظمة الشعبية لجنوب غربي افريقيا (سوابو) المعترف بها دوليا من المشاركة في تقرير مصير البلد .

فيم تكمن اسباب وقاحة سلطات افريقيـا الجنوبية ؟ انهـا تكمن في ثقتها بان الاوساط المتنفذة في الغرب لن تتركها وحدها ، وليس من قبيل الصدفة ان وجه في مجلس الامن نقد شديد للدول الغربية التي تحبط تنفيذ الاجراءات الفعالة المتخذة ضد النظام العنصري لجمهورية افريقيا الجنوبية وتقدم له دعما اقتصاديا وعسكريـا كبيرا .

ان وطنيي ناميبيا عاقدون العزم على مواصلة النضال السياسي والمسلح من اجل حريتهـم واستقلال وطنهـم ، وان هذا النضال سيتكلل بالظفر دون شك .

البرت غريغوريانتس

كلافديا فيلور

نواصل نشر المقتطف من هذه الرواية عن المراة التى كانت موجها سياسيا ابان الحرب الوطنية العظمى ووقعت فى اسر الالمان وهى مصابة بجراح فى ساقيها ولقيت ما لقيت من العذاب فى معسكر الاعتقال لكنها افلحت فى الهرب والعودة الى صفوف المحاربين .

عند المساء نقلت الى قيادة احدى الوحدات فى قرية بلودوفيتويه . كان هناك ، رجل غستابو يتكلم الروسية بشكل مفهوم . لم تكن تهمه المعلومات العسكرية . كان يشغله أمر آخر-لماذا ، وهى المراة ، تعمل فى الجيش ، وبمنصب كهذا ؟ خلال الاستجواب احضر الساعى مغلفا فضه رجل الغستابو :

– اه، اذا انت هى فيلور؟ فى-لور-فى-لو-ر..

اخذ بابتسامة يهجى الاسم حرفا وراء حرف . كان كل شىء مكتوبا فى الورقة ، وكلافا نفسها لم تنكر اوه ، يا لها من ثورية . ثورية مئة بالمئة حتى كنيتها . حسنا ، انها نسخة مناسبة للتجربة . تؤخذ شيوعية بحتة بدون اية شائبة ، بدون خوف وشكوك ، وتجرب عليها اساليب التاثير .

كانت تفضل الاعدام الفورى ، فطمأنها ، قائلا ان الموت قادم ، فلا تقلق ، ولكنه لن ياتى فورا .

قطعت التحقيق غارة جوية . ركض الالمان الى الملاجىء . وسيقت كلافا الى الكنيسة الغاصة بمئات الاسرى . لم ياخذوها الى الداخل بل ابقوها على السقيفة قرب الحارس .

فى الليل ساقوا كل الاسرى الى الكنيسة . وازدحم الناس لدرجة ان احدا لم يستطع الجلوس ، بل وقف الجميع ضاغطين الكتف على الكتف . تأوهت كلافا حينما دفعت الى هناك . وكان اقل مس لجسمها الذى اشبع ضربا يسبب لها الما رهيبا . وقام الطلاب طلابها ، بالمستحيل ، فقد ابتعدوا ، ضاغطين على الحشد ، بحيث تتمكن كلافا من الاستلقاء . واذ عرف الرجال جلية الامر ، تزاحموا وفرشوا لها المعاطف ، فاستلقت . ووقف حولها مئات الناس كل الليل . فى زخرفة القبة الزرقاء ، كان سافاوف يسبح فى غيمة كثيفة ، يسبح عاجزا فى الغيظ وفى الحب .

لقد اعطوها مجالا لتستلقى ، وكان هذا هو الشىء الوحيد الذى بمستطاع طلابها ان يفعلوه من اجلها كانت ليلة طويلة لا نهاية لها ... قال مدفعى كهل مصاب بالرضوض لكلافا : «لا باس ، لاتقلقى ، انه لامر حسن حينما يوجد من نعتنى به . وهذا ما نحتاج اليه جدا الان» .

فى الصباح افترقوا . فقد سيق الاسرى بعيدا واخذت كلافا الى مقر القيادة قرب كوتيلنيكوف فضربت مجددا ، وسئلت مجددا : كم المانيا قتلت وما هو فحوى عملها السياسى ...

يبدو ان هذا حدث فى معسكر تسيمليانسك فقد هوت على الارض عند البوابة مباشرة . لم تستطع ان تتابع السير . استلقت ووجهها الى الاسفل . وقفت قربها جزمتا ضابط المانى . سالها متكلما بروسية رديئة :

– من انت ؟

قالت كلافا :

– ممرضة .

تعجب الالمانى . لعله يحمل قوائم بيده ؟ لم تكن كلافا تعرف . بل لم تستطع حتى ان ترفع راسها وتلتفت . لم تشا ان تلتفت وتنظر . تمتم بحيرة : «ممرضة ؟ من اين-الممرضة ؟» . وابتعد . وبعد عدة دقائق دوى صوت فى المعسكر : «القوميسارة فيلور ! القوميسارة فيلور ! الى التحقيق فى القيادة!» كانت كلافا مستلقية. اقتربوا منها ورفعوها وهم يرفسونها باقدامهم . واخذوها الى القيادة رات كرسيا ، فانهارت عليه ، من غير ان تنتظر اذنا بالجلوس .

– قفى !..

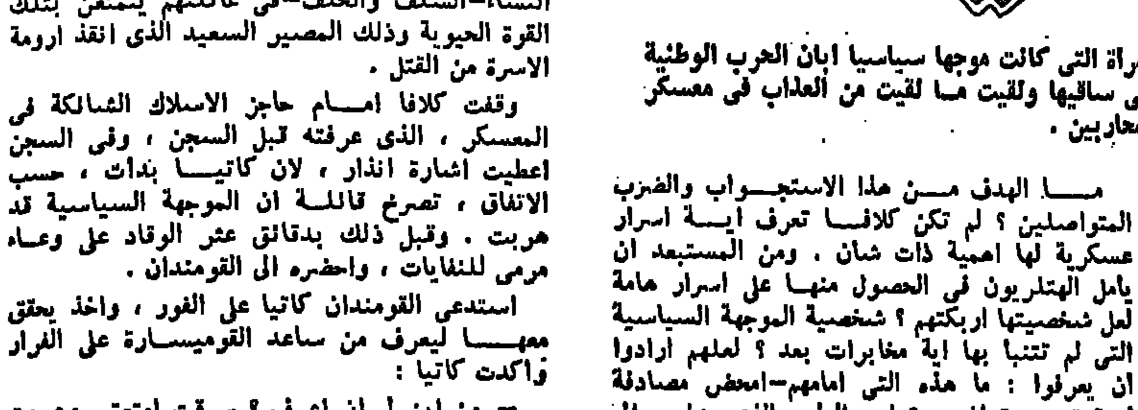
صرخ ضابط واخذ يضربها بالعصا . وكان فى طرف العصا مسمار . لم تر هذا المسمار ، بل شعرت به . كان يجب ان تنهض . ولكنها لم تستطع صاحت وصرخت ولم تستطع البكاء . لقد جفت الدموع . لم تظهر الدموع التى كانت دائما تساعدها كما تساعد كل امراة . لم تستطع البكاء . كان ذلك مؤلما وشديد الوطاة الى درجة تتضاءل معها الدموع.

حدث هذا فى ٢٩ آب-اغسطس عام ١٩٤٢ .

ما الهدف من هذا الاستجواب والضرب المتواصلين ؟ لم تكن كلافا تعرف اية اسرار عسكرية لها اهمية ذات شان . ومن المستبعد ان يامل الهتلريون فى الحصول منها على اسرار هامة لعل شخصيتها اربكتهم ؟ شخصية الموجهة السياسية التى لم تتنبا بها اية مخابرات بعد ؟ لعلهم ارادوا ان يعرفوا : ما هذه التى امامهم-امحض مصادفة ام قوة جديدة للعدو ؟ اهو الياس الذى يدفعهم الى تشغيل النساء فى عمل كهذا ، ام ان هناك حسابا اخر ؟ لعلهم كانوا يريدون ان يستوضحوا شيئا لانفسهم ؟

ليست هى المرة الاولى التى اجد نفسى فيها ابحث عن دوافع لتصرفهم . وهذا امر لم يكن موجودا فى السابق . فى السابق لم نبحث عن اسباب ودوافع للقسوة الفاشية . فى السابق كان كل شىء واضحا : لقد عذب الفاشيست جماعتنا واباودهم لانهم فاشيست . وكنا نكرههم ، لاننا نكره الفاشية لقد ارادوا ان يبيدونا ، ان يقضوا علينا ، ان يحتلوا وطننا ... وكان يجب علينا ان نطلق النار ، ان نبيدهم .

وقفت كلافا فى الزاوية ، واضعة يديها خلف ظهرها-لم تكن واقفة ، بل مستلقية على الجدار وكان القومندان يتمشى امامها ، ويضرب من حين الى اخر رجلى كلافا بالسوط ، لم تكن تستطيع التحمل



فكانت تصرخ : ورغم انها كانت تخجل من ضعفها امام رفاقها ، الا انها لم تكن تستطيع ، مع كل محاولاتها ، التوقف عن التاوه .

اشار القومندان اليها بالسوط :

– انظروا ، لمن كنتم تخضعون ؟ اى ضباط انتم ؟

– كان فيدوسوف واقفا عند الجدار ايضا .

– كان الافراد يحبون الرفيقة فيلور ويحترمونها جدا .

قال ونظر بطرف عينه الى كلافا : الم يجعل حالتها اسوا بهذا الاعتراف ؟

واكد موروزوف :

– انها السائة عادلة وشجاعة . انها قدوة للجميع .

ارادت كلافا ان تبكى من هذه الكلمات . كم ستكون سعيدة لو استطاعت ان تبكى . لقد كانت كلماتهما هنا ، فى الاسر ، اغلى من اية جائزة واى تشجيع . وهى لاتزال الى الان تتذكرها كاعز ماحدث فى حياة الاسر .

لوح القومندان بالسوط واهوى عليها هذه المرة بقوة جعلتها تقع . وركلها برجله ، وامر بجرها الى الغرفة المجاورة ، قائلا :

– اليوم ستموتين –

– ٦ –

هل كان بمستطاع ابى كلافا فيلور ان يفكر يوما بان هذه الاسرة الكبيرة التى تعهدها ورعاها سوف تباد فى الحرب باسرها تقريبا-الابناء ، اثنا عشر ابنا ، الابنة ، الشقيقات ، الاشقاء ، الكنائن الاحفاد ؟ الشجرة التى رباها ورباها ، والتى بدا ان لا نهاية لها ، قلعتها الحرب من الجذور تقريبا . . لقد عانوا ايضا فى الحرب السابقة ، الاهلية حينذاك طاف شبح الموت بينهم . فقد ساق البيض امها الى المشنقة ، ولم تنج الا باعجوبة . كانت النساء-السلف والخلف-فى عائلتهم يتمتعن بتلك القوة الحيوية وذلك المصير السعيد الذى انقذ ارومة الاسرة من القتل .

وقفت كلافا امام حاجز الاسلاك الشائكة فى المعسكر ، الذى عرفته قبل السجن ، وفى السجن اعطيت اشارة انذار ، لان كاتيا بذات ، حسب الاتفاق ، تصرخ قائلة ان الموجهة السياسية قد هربت . وقبل ذلك بدقائق عثر الوقاد على وعاء مرمى للنفايات ، واحضره الى القومندان .

استدعى القومندان كاتيا على الفور ، واخذ يحقق معها ليعرف من ساعد القوميسارة على الفرار واكدت كاتيا :

– من اين لى ان اعرف ؟ سرقت امتعتى وهربت وعلى ان اتحمل مسؤوليتها !

ضربوها تحسبا لكل احتمال ، وزجوا بها فى الزنزانة . كانت ريح مشبعة بالثلج تصفع كلافا لقد بردت بحيث لم تعد تشعر بيديها ، ولم تعد تميز الطريق فى العتمة . اندست فى حفرة ، وجلست هناك الى ان بدا الشروق . وعند الشروق خرجت من الحفرة ، ولكنها لم تستطع السير . لم تطاوعها رجلاها ويداها . لم يكن يعيش فيها سوى جسدها لو كان ممكنا لتدحرجت على الارض ، فهذا اسهل من السير على القدمين اللذين كانت تود ان تصرخ وتزعق لكل حركة منهما ... وبحثت عن شارع ليفتيانايا .

واخيرا وجدت بولينا ميخالكو . وكانت تستعد للذهاب الى العمل . قالت كلافا :

– انا من عند كاتيا .

اقامت عند بولينا ثمانية ايام ، وكانت تختبىء خلف حاجز حديدى حينما يدخل احد . ولعله هنا بدا يتجلى طبع كلافا فيلور الخاص الذى تطور لديها بشدة فيما بعد .

لقد غيرت بولينا ميخالكو خلال تلك الايام الثمانية من اقامتها عندها . كانت بولينا تعيش منطوية ، وتخاف من كل شىء . وكانما ، وهى تعيش مع كلافا ، قد تذكرت انها ممرضة من حيث الاختصاص ولم تلتحق بالجيش الاحمر ، حيث كان بمستطاعها ان تكون مفيدة للوطن .

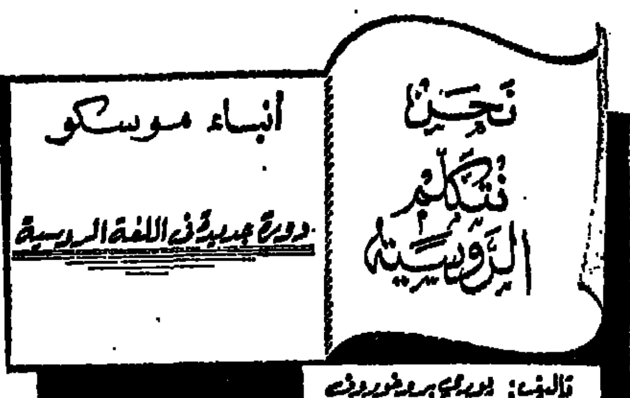
ازالت بولينا اوساخ السجن عن كلافا ، وغسلت راسها ، فظهرت على جسمها الضامر حتى الشفافية اثار الضرب والجراح الدامية السوداء المزرقة وكانت كثيرة فى كل بقعة من جسدها ، والنظر اليها مرعبا لدرجة ان بولينا اجهشت بالبكاء

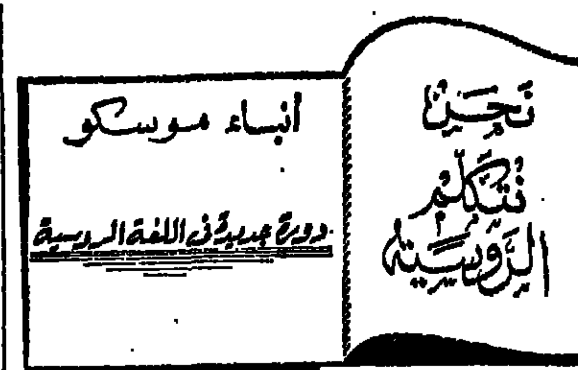
– الى اين تذهبين بهذه الحالة ؟ لن اتركك انك لن تصلى . يا الهى ، ماذا يفعلون بالانسان !

ولكن كان يجب على كلافا ان تذهب بعيدا عن ستالينو حيث كانوا لايزالون يبحثون عنها بعد الهرب وحيث اعطوا اوصافها بالاذاعة . واتجهت عبر سموليانكا صوب روتشينكوفكا ، الى اقرباء صونيا بولغاكوفا . ورافقتها بولينا بدون ان تتخفى ، غير راغبة ، وهذا هو الامر الرئيسى ، فى ان تخاف شيئا بعد الان .

لقد احست بجراتها ، وهى تساعد كلافا ، ولم تشا ان تعود الى حياتها السابقة مهما كلف الامر .

(البقية فى العدد القادم)





الطقس
الدرس السابع والعشرون
(القسم الاول)

– امل فى ان الطقس مع ذلك سيتبدل .
Я надеюсь, что погода все же переменится.
– يا ناديوس ، شتو بغودا فسو جى بيريمينيتسا .

– هل الامطار كثيرا ما تهطل فى موسكو فى هذا الفصل من السنة ؟
В Москве в это время года часто идут дожди?
– ف مسكفى ف ايتا فريميا غودا اتشاستا ايدوت دوشدى ؟

– لا يوجد فى بلادنا مثل هذا الصقيع .
У нас дома таких морозов не бывает.
– اوناس دوما تاكيخ موروزوف نى بيفايت .

– الريح شديدة اليوم ، ينبغى ارتداء ملابس ادفا .
Сегодня очень сильный ветер, надо одеться потеплее.
– سيفودنيا اوتشين سيلنى فيتير ، نادا اوديتسا بوتيبليه .

– ما هى حرارة الجو اليوم ؟
Какая сегодня температура воздуха?
– كاكايا سيفودنيا تيمبيراتورا فوزدوخا ؟

– كان الطقس غير مستقر ابدا طيلة الاسبوع ،
Всю неделю была очень неустойчивая погода.
– فسيو نيديليو بيلا اوتشين نيوستويتشيفايا بغودا .

– ظننا بان الطقس قد اصبح دافئا فى موسكو ، ولم ناخذ معنا اشياء دافئة .
Мы думали, что в Москве уже тепло, и не взяли с собой теплых вещей.
– مى دومالى ، شتو ف مسكفى اوجى تيبلو ، اى نى فزالى سوبوى تيوبليخ فيشى .

– متى يسقط الثلج فى موسكو ؟
Когда в Москве выпадает снег?
– كاغدا ف مسكفى فيبادايت سنيغ ؟

– اين تلاحظ فى الاتحاد السوفيتى اخفض درجة حرارة ؟
Где в СССР бывает самая низкая температура?
– غدى ف اس‌س‌س‌ر بيفايت سامايا نيزكايا تيمبيراتورا ؟

– تساقط الرذاذ اليوم طوال النهار ، ولهذا لم نستطع ان نتنزه فى المدينة .
Сегодня весь день моросил дождь, и мы не могли погулять по городу.
– سيفودنيا فيس دين موروسيل دوشد ، اى مى نى مغلى بوغولیات بو غورادو .

– كان الطقس رائعا ومشمسا طوال الرحلة .
Во время всей поездки стояла прекрасная солнечная погода.
– فو فريميا فسى بوييزدكى ستويالا بريكراسنايا سولنيتشنايا بغودا .

– حسن ان الطقس لم يتعكر خلال هذه الجولة .
Хорошо, что во время этой экскурсии погода нас не подвела.
– خرشو ، شتو فوفريميا ايتاى اكسكورسى بغودا ناس نى بودفيلا .

– نامل فى ان الطقس سيكون غدا جيدا منذ الصباح وسنطير باطمئنان .
Мы надеемся, что завтра с утра будет хорошая погода и мы спокойно улетим.
– مى نادييمسا ، شتو زافترا س اوترا بوديت خروشايا بغودا اى مى سبوكوينا اوليتيم .

ركن الاطفال
بيتروشكا

الريح والفراشة الحسناء

(الصوصة)

الفيرا اراسل

فى الليل ، انفلقت الشرنقة السمراء اللماعة الراقدة فى احضان ورقة السنديان ، وحين اطل الصباح ، خرجت منها فراشة واهنة بقيت برهة من الوقت عاجزة عن تحريك جنحيها المتلففين لكن شعاع الشمس الباكر سرعان ما بعث الدفء فى اوصالها ، فنشرت جنحيها كما تفتح المظلة .. غمغمت الوريقات والحشائش والحشرات الصغيرة هامسة :

«يا لها من فراشة حسناء !»

كانت الفراشة جميلة حقا .. جناحاها الارجوانيان مزدانان بزخرف بنى قاتم متشابك الخطوط تتخلله بقع صفراء يضرب لونها الى الزرقة .. وقدها بخصره النحيف الضامر رشيق يعلوه الزغب ، يتوجه رويس ذو عينين كبيرتين كشبكة متقنة ، تنتهى مجستاه الذهبيتان الدقيقتان بنابضين مرنين .



قالت النملة العجوز لجارتها الدعسوقة التى كانت تتجول فى تلك اللحظة على مقربة منها :

– اجل ، انها فراشة جميلة جدا .

اجابت الدعسوقة :

– لعلك محقة ياجارتى .

ما ان سمعت الفراشة ذلك ، حتى نشرت جنحيها بخيلاء ، وخفقت بهما رويدا ، فردت الحشائش عليها بايماءة .

فكرت الفراشة باستعلاء : «لاشك انها تنحنى لى اجلالا» وطفقت تخفق بجنحيها خفقا شديدا جعل الاعشاب الصغيرة تحنى هاماتها حتى لامست الارض . فخيل للفراشة بانها الاقوى هنا ، بل انها اقوى حتى من الريح .. راحت تثب من زهرة الى زهرة وهى تهز جنحيها بقوة ، بينما طاطات الازهار والسنابل رؤوسها قبل ان يتسنى لها التمتع بنضارة هذه الحسناء .. فصار ذلك هوايتها المفضلة .

ولكن ماذا عن الريح ؟

الريح كانت وقتئذ مشغولة جدا ، عليها ان تنجز اعمالا كثيرة ، كان تسوق السحابة نحو المرج ليرويه المطر ، او ان تدبر شؤون الغابة فتعين الوريقات النائمة على التفتح .. وما اكثر مشاغل الريح !.. ثمة ما يشغلها عن التفكير حتى باعشاب المرج .. فكيف لها ان تفكر فى فراشة ؟ بالرغم من ذلك ، كانت تمر فوق المرج وهى منصرفة لاشغالها ، وتمسد باذيالها ذوائب العشب فيتموج كبحيرة وسنى .

اما الفراشة الحسناء ، فكانت تحسب هذه الانسام الرقيقة ريحا حقيقية ...

توالت الايام يلوق احدها الاخر وهجا وتالقا .. وارتدى المرج ابهى حلله .. والفراشة ترفرف فوقه جذلى متوردة حسنا فالاعشاب والسنابل اعتادت الانحناء لها منذ وقت طويل ، لذا كانت تتنقل من زهرة الى زهرة وتنشد اغنيتها المفضلة :

احنوا هاماتكم من اجلى
انا اجملكم
انا اسعدكم
يا من فى الغاب وفى الحقل
انا الواكم .
انا ابهاكم .
هل منكم من لم يسجد لى ؟

وحين تداعب الريح الاعشاب برقة ، تزهو الفراشة هازئة وتترنم بالشودة اخرى :

من امجادى
يكفى ان اصفق جنحى مرة .
ان اتثاءب او اعطس مرة .
فتهب الريح على الوادى

حين سمعت السنابل والحشرات الصغيرة هذه الاغنية ، هزت رؤوسها بما ينم عن اللوم ، حتى ان النملة العجوز-حين وجدت نفسها مع الفراشة الحسناء تحت وريقة واحدة اثناء المطر ، خاطبتها معاتبة :

– كونى حذرة فى تصرفاتك .. لو كنت محلك لما انشدت مثل هذه الاناشيد التى تزعج الريح.

ولكن الفراشة لم تلق بالا لكلام النملة ، بل انفجرت ضاحكة .

ذات يوم ، سكن المرج سكونا مريبا وكان شيئا سيحدث ، حتى الغابة المجاورة خيم عليها صمت عجيب .. ولم تبدر عن اية سنبلة او زهرة ايما حركة .. وظلت رؤوسها ساكنة حتى حين مرت فوقها الفراشة الحسناء .. وعلى العكس هاج النمل والحشرات الصغيرة فسارعت الى بيوتها لسد كل المنافذ والشقوق على عجل ... وحلقت طيور السنونو على انخفاض شديد وخيم ظلام دامس كانه المساء .

اوتعبت الفراشة الحسناء وقالت فى سرها : «لابد ان شيئا مروعا سيحدث ؟!»

(البقية على الصفحة ١٠)

اخبار الفن والثقافة

«المستر بيكويك» على ضفاف نهر نيفا

شاهد الجمهور ابطال رواية ديكنز هذه في الموسم الجاري على خشبة مسرح الدراما في لينينغراد .

وقام باخراج المسرحية جيورجي توفستونوغوف كبير مخرجي المسرح ، وقال توفستونوغوف في معرض حديثه عن ابطال المسرحية انهم يبدون كاطفال في السنة العاشرة لا اكثر . ونلمس ذلك في خلال سلوكهم كله وبساطتهم العجيبة .. ولعل المستر بيكويك الذي يتوجه الى السجن يبدو غبيا من وجهة نظر «انسان العمل» اما نحن فنرى فيه نسخة اخرى من دون كيشوت .

ويؤدي دور بيكويك نيكولاي تروفيموف الذي اشتهر كممثل كوميدي موهوب يتسم بالاصالة وتستهوي الجمهور كثيرا شخصية «جينغل» الذي يؤدي دوره اوليغ باسيلاشفيلي وبالرغم من ان هذا الدور انيط بالممثل قبل فترة قصيرة جدا من عرض المسرحية الاول نجح باسيلاشفيلي في اداله نجاحا باهرا .

هذا كما اخرجت مسرحية «نادي بيكويك» في مسرح الدراما بلينينغراد بصيغتها المقتبسة من رواية ديكنز لمسرح موسكو الفني .

الريـــح والفراشـــة الحسنـــاء

(بقية المنشور على ص ٩)

حطت الفراشة على زهرة برسيم ، خبات فيها سيقانها واطبقت جنحيها .. في تلك الاثناء كانت الريح تنبوق وتسوق المزيد من السحب باتجاه المرج . فلابد من ارواء العشب وان كان دوره ياتي في المقام الثاني .. ربما تكون الارض قد جفت تماما . هبطت الريح الى الاسفل كي تحرك الاعشاب وتتفحص التربة .

هنا احنست الفراشة الحسناء ، فجاة ، بدفعة قوية .. كان شيئا اختطفها وطار بها في سماء المرج .. وطارت معها النملة العجوز التي تاخرت عن دخول بيتها ، وهي التي لا جناح لها .. وطارت معهما بعض الاوراق والزهور والحشائش . حاولت الفراشة الحسناء فتح جناحيها وقد تملكها فزع شديد ، لكنها عجزت عن ذلك .

تسلت الريح قليلا بهم ، ثم تركتهم وانصرفت من جديد نحو السحب .

هوت الفراشة الحسناء على الارض ، فانكسرت ساقها وانطرحت بدون حراك بعض الوقت ، ريثما ادركتها النملة العجوز زاحفة فبادرتها :

— ها نحن قد هبطنا اخيرا .. لقد كنت مخطئة كما ترين ، فنلت على طيشك عقابا قاسيا ولحسن الحظ لم يخطر ببالك ان تنشلي الغنيات السخيفة .

دمدمت الفراشة المروعة :

— ولكن من كان هذا ؟

فردت النملة العجوز :

— انها الريح .

عندئذ فهمت الفراشة وغرقت في التامل .

المباريات الدولية في التزحلق الايقاعي على الجليد على جائزة «نوفيل دي موسكو»

MOCKBA
1978
LES NOUVELLES DE MOSCOU



الفائزون في المباريات على جائزة «نوفيل دي موسكو»

جائـــزة نوفيـــل دي موسكـــو

* رياضيو ١٤ بلدا يتنافسون على جوائز المباراة التقليدية في موسكو (٧–١١ كانون الاول–ديسمبر) .

* اكثر من ٢٢٠ صحفيا ومعلقا يشهد المباراة .

* ٦٠ الف مشاهد في قصر الرياضة وملايين مشاهدي التلفزيون يتابعونها .

اشترك افضل لاعبي التزحلق الايقاعي السوفيت في المباراة التي تنظمها صحيفة نوفيل دي موسكو اضافة الى اللاعبين الاجانب . ولم يواجهوا منافسة شديدة في اي نوع من انواع هذه الرياضة سوى التزحلـــق النسائي الفردي حيث فازت كارول فيتزبيرغ (١٥ سنة) من المانيـا الديمقراطية مع العلم ان يلينا فودوريزوفا وهي اقوى لاعبة سوفيتية لم تشترك في مباراة هذا العام . ونقول بالمناسبة ان الرياضيات السوفيتيات لم يحققن بعد في هذا اللون من التزحلق ، نتائج عالية مع انهن حققن بعض التقدم في الاونة الاخيرة .

وكان الرقص الثنائي بلا شك اروع جزء من المباراة الدولية كلها . وقد شارك فيه (٢٦) من اقوى الرياضيين . وهذا يزيد عن عدد المشاركين في انواع التزحلق الاخرى .

ولا ريب في ان الرقص على الجليد حظي فـــي الاعوام الاخيرة بشعبية كبيرة . لانه يجمع بين الرياضة والفن ، بين الرقص والموسيقى . وقد ساهم في تطوير الرقص على الجليد ممثلو المدرسة السوفيتية ولاسيما الثنائي باخوموفا وغورشكوف وفاز بمباراة هذا العام ارينا مويسييفا واندريه مينينكوف اللذان سبق وان فازا ببطولـــة العالم مرتين . وتنبغي الاشارة الى ان كل ثنائي من المشاركين تميز بالاصالة ولذلك استمتع الجمهور كثيرا بمشاهدة المباراة .

لقد فاز بالمباراة بين الرجال الرياضي السوفيتي قسطنطين كوكورا لاول مرة . اذ نجح في عرض برنامجه الحر بلا اخطاء ملحوظة . وفيمـــا يخص الضيوف فقـــد كان ماريو ليبرس من المانيـا الديمقراطية متقدما عليهم حيث شغل المرتبـــة الثالثة .

ولاول مرة فاز بجائزة «نوفيل دي موسكو» في التزحلـــق الثنائي مارينـــا بيستوفا (١٤ سنة) وستاليسلاف ليونوفيتش (٢٠ سنة) .

قررت مؤسسة «ميجدونارودنايـــا كنيغا» منح افضل ثنائي اجنبي في الرقص البـــوم الصور الفوتوغرافية المخصصة لمسرح البلشوي ، وفي هذه المرة قـــدم يـــوري ميلنيك نائب رئيس المؤسســـة هذا الالبـــوم لكل من الراقصين الانكليزين كارول لونغ وجون فيليوت .

لقد أصبحت مباراة جائزة «نوفيل دي موسكو» مهرجانا حقيقيا ، اقيم في قصر الرياضة استعدادا للالعاب الاولمبية–٨٠ .

وانتهت المباراة بعرض مهارة اقوى المشاركين وكذلك الرياضيين المشهورين الذين لم يشاركوا فيها لاسباب مختلفة .

في ختام العرض ظهر على الحلبة الجليدية يوري اولتشينيكوف الذي حظي بشهرة رياضي كبير ماهر في التزحلق الفردي .

وبهذا العرض انهى اولتشينيكوف اشتراكه في المباريات الرياضية ، وودعه الجمهور والرياضيون بحفاوة .

كانت المباراة بالنسبـــة لضيوفنا الاجانب وزملائهـــم السوفيت مرحلة هامة من مراحـــل استعدادهم لبطولة اوروبـــا والعالم والالعاب الاولمبية الشتوية عام ١٩٨٠ .

واذ نودع مباراة هذا العام فاننا ندعو لاعبي التزحلق الايقاعي على الجليد في جميع البلدان الى المشاركة في مباراة نوفيل دي موسكو–عام ٧٩ ، ان موسكو عاصمة الالعاب الاولمبيـــة الصيفية عام ٨٠ في انتظاركم .

اثناء المباراة اجرى مراسلوا صحيفتنا احاديث مع الرياضيين الذين شاركوا فيها ، والمدربين والحكام وننشر فيما يلي اقوالهم .

الرياضية البلجيكية ليف ويسترلينغ

الفائـــزون يتحدثـــون

قالت مارينا بيستوفا الفائزة بجائزة «نوفيـــل دي موسكو» في التزحلق الثنائي على الجليد ان هذه المباراة كانت بالنسبة لي ولزميل ستانيسلاف ليونوفيتش بداية جيدة في هذا الموسم ونحـــن مسروران لهذا الفوز الذي اكد صحة الطريـــق الذي نسلكه استعدادا لبطولة اوروبا والعالـــم واضافت قائلة :

انني ادرس في الصف الثامن بالمدرسة رقم ٧٠٤ في موسكو مع مارينا تشيركاسوفا ويلينـــا فودوريزوفا . وكانت هذه المباراة بالنسبة لهما كذلك بداية جيدة في مسيرتهما نحو قمم المهارة الرياضيـــة والان فيواصل زميل ستانيسلاف الحديث .

ستانيسلاف ليونوفيتش : لقد فزنا في العام الماضي بالمركز الثالث مع اننا بدانا التدريب سوية قبل عامين فقط ونحن نكتسب الخبـــرة تدريجيا ونعتبر هذه المبـــاراة مفيدة جدا من وجهة النظر هذه .

انا طالب في معهد الرياضة البدنية واسعى قدر الامكان الى مساعدة زميلتي في الدراسة وادرس ايضا في المعهد اللغة الفرنسية ولذلك اقرأ صحيفة «نوفيل دي موسكو» بانتباه .

قال قسطنطين كوكورا بعد فوزه بالمباراة في البرنامج الحر : لقد اشتركت في هذه المباراة للمرة الرابعة وفزت بالمرتبة الثالثة فيها عـــام ١٩٧٦ ، وعند اشتراكي هذا العام بذلت كـــل الجهود للتغلب على منافسي بالرغم من معرفتي بقوة ايغور بوبرين السوفيتي وماريو ليبرس من المانيا الديمقراطية .

ولم اعرض في البرنامج الالزامي كل امكانياتي اما العرض الذي قدمته في البرنامج القصير والحر فقد كان مرضيا واعتقد بانه يجب علي ان اعمل كثيرا لعرض برنامجي الحر بمزيد من الدقة اما بالنسبة للمتزحلقين الاجانب فانا معجب بعرض ماريو ليبرس الذي اصبح في العام الماضي واحدا من اقوى عشرة من لاعبي التزحلق في العالم ، وكان اداء برنامجه الالزامي دقيقا جدا . كما يلوح لي انه يستطيع الفوز باحد المراكز الاول لـــدى بطولة اوروبا والعالم .

اني طالب في السنة الدراسية الرابعة لمعهد الرياضة البدنية واعد بحثا للحصول على الدبلوم وارغب في العمل مدربا .

كما اود ان ابوح لقراء الصحيفة بالحلم الذي يراودني الان . في الحادية والعشرين مـــن العمر واحلم كثيرا بالمشاركة في الالعـــاب الاولمبية القادمة والفوز فيها .

قالت كارولا فيتزبيرغ مـــن المانيـــا الديمقراطية ، انها كانت تامل في الفوز حيـــن تركت الوطن . لكنها لم تكن متاكدة من ذلـــك واضافت الرياضية الصبية اني مسرورة للعرض الذي قدمته وللفوز في التزحلق النسائي الفردي مع انه اظهر بعض النواقص في تدريباتـــي استعدادا لهذا الموسم . لقد اعجبني العـــرض الذي قدمه كوكورا وناتاليا ستريلكوفا ولا سيما الاستعراضات الفنية التي قامت بها سليتلانـــا فراتشوزوفا .

امارس في اوقات الفراغ الحياكـــة والتطريز واقول بالمناسبة ان امي تقوم بخياطة الرداء الذي ارتديه اثناء المباريات . ويرافقني ان والدي لم يشاهدا فوزي في موسكو . فهمـــا يشاطراني مشاعري ويفرحها نجاحي كثيرا جدا .

بعد عودتي الى الوطن ساحدث اهلي وصديقاتي عن ضيافة اهالي موسكو وجمال المدينة التي ستكون عاصمة الالعاب الاولمبية الثانيـــة والعشرين .

وقالت ارينا مويسييفـــا : ان فوزنا فـــي المباراة التي نشارك فيها انا واندريه كل عام هام جدا ، لقد عرضنا برنامجا جديدا ننوي ان نتابع به من لقب افضل الراقصين على الجليد في اوروبا ، وان نسترجع لقب بطل العالم ، ولقد زاد فوزنا عند بدايـــة الموسم من ثرائنـــا وثقتنا بالنجاح . لقد كنا ومدربتنا تاتيانا تاراسوفا نطمح دومـــا الى ايجاد اسلوب اصيل وصورة متميزة في التزحلق على الجليد ، وقد حققنا ذلك فعلا .

ومن دواعي سرورنا انه ظهر في بلادنـــا في الاعوام الاخيرة عدد من الثنائيات الراقصة التي تستطيع خوض المباريات الدولية . ويلوح لي ان الثنائي ناتاليا بستيميانوفا–واندريه بوكين منذ اكتمال هذا الموسم مع انهما لم يشغلا مركزا متقدما . وقد لفت انظار الجميع كذلك الراقصان الانكليزيان كارول لونغ وجون فيليوت .

وقال اندريه مينينكوف : انا وارينـــا طالبان ارينا في الصف الثالث بمعهد الرياضة وانا ادرس في معهد الهندســـة اللاسلكية والالكترونيك والاتمتة ، وكثيرا ما نتسائل مع نفسي : هـــل سنستطيع تحقيق امنياتنا ؟

ميتسوهيكو كوزوكا
حكم (اليابان)

اننا شاكرون على دعوة فريقنا للاشتراك في المباريات الدولية في التزحلق الايقاعي على جائزة جريدة «نوفيل دي موسكو» .

يضم فريقنا خمسة اشخاص ثلاثـــة منهـــم يشتركون في التزحلق الفردي وهم فتاتان وشاب ونائب الفريق وانا ، وانا المشترك في المباريات بصفة حكم .

ونحن نقدر تقديرا عاليا الامكانية المتاحـــة لرياضيينا للاشتراك في هذه المباريات الممتعة ونرى ان لقاءات الرياضيين تساعد على تعزيز الصداقة بين بلداننا وكذلك في العالم كله .

مرغيت زاليتي
مدربة الفريق البلجيكي

لقد كان هذا اول عرض للمتزحلقين البلجيكيين في المباريات التي تقيمونها للمرة الثالثة عشرة لكن هذا وللاسف ، ليس السبب في كون نتائج لنياتنا متواضعة لهذه الدرجة .

وبصرف النظر عن النتائج ، فقد كانت مشاركتنا مفيدة جدا بالنسبة لراقصاتنا وبالنسبة لي كمدربة ومن التقاليد الجيدة ان يبدأ الموسم الدولي بهذه المباريات الجميلة .

ومما يبعث على السرور تلك الشعبية التي يتمتع بها الرقص الايقاعي عندكم ، فقد كانت الصالة الضخمة غاصة بجمهور كبير طيلة ايام المباريات الاربعة ، وهذا يترك اثرا طيبا في النفس .



كارولا فيتزبيرغ (المانيا الديمقراطيـــة) الفائزة في المباريات في التزحلق الفردي .



فيليا سوميا (اليابان)